وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة العربي التبســي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبسة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: الفلسفة

Larbi Tebessi University - Tebessa

Faculty of Humanities and Social Sciences.

Department of Philosophy

الميدان: علوموإنسانية واجتماعية.

الشعبة: علوم اجتماعية.

التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة.

العنـــوان: الداروينية وأثرها في فلسفة نيتشه

مذكرةمقدمةلنيلشهادةماستر''ل.م.د''دفعـــة: 2022

إعداد الطالب (ة):

- شرفي شريهان

إشراف الأستاذ:

د. بوعلي مبارك

لجنـــة المناقشـــة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. معط الله أحمد	أستاذ محاضر - ب	رئيســـــــــا
د. بوعلي مبارك	أستاذ مساعد - ب	مشرفا ومقررا
د. مالك سماح	أستاذ محاضر - أ	عضوا ممتحنـــا

السنة الجامعية: 2021/ 2022

الإهداء

إلى رمز الحنان والتضحية ...

" أمي الغالية"

إلى ينبوع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والمثابرة

" أبي حفظه الله"

تعبيرا عن محبتي العميقة لهما وشهادة اعتراف لما بذلاه من جهد وسهر لحسن رعايتي وتربيتي

أطال الله عمرهما

إلى من اشتد بهم أزري وأقرب الخلق لقلبي وسند الدهر

إخوتي وأخواتي

إلى زميلاتي وأخواتي (جيهان وخلود، هناء، نصر الدين بثينة، مقداد بثينة) وجميع زملاء في قسم الفلسفة

والى أساتذتي في المسيرة العلمية

إلى جميع الأصدقاء

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير والعرفان:

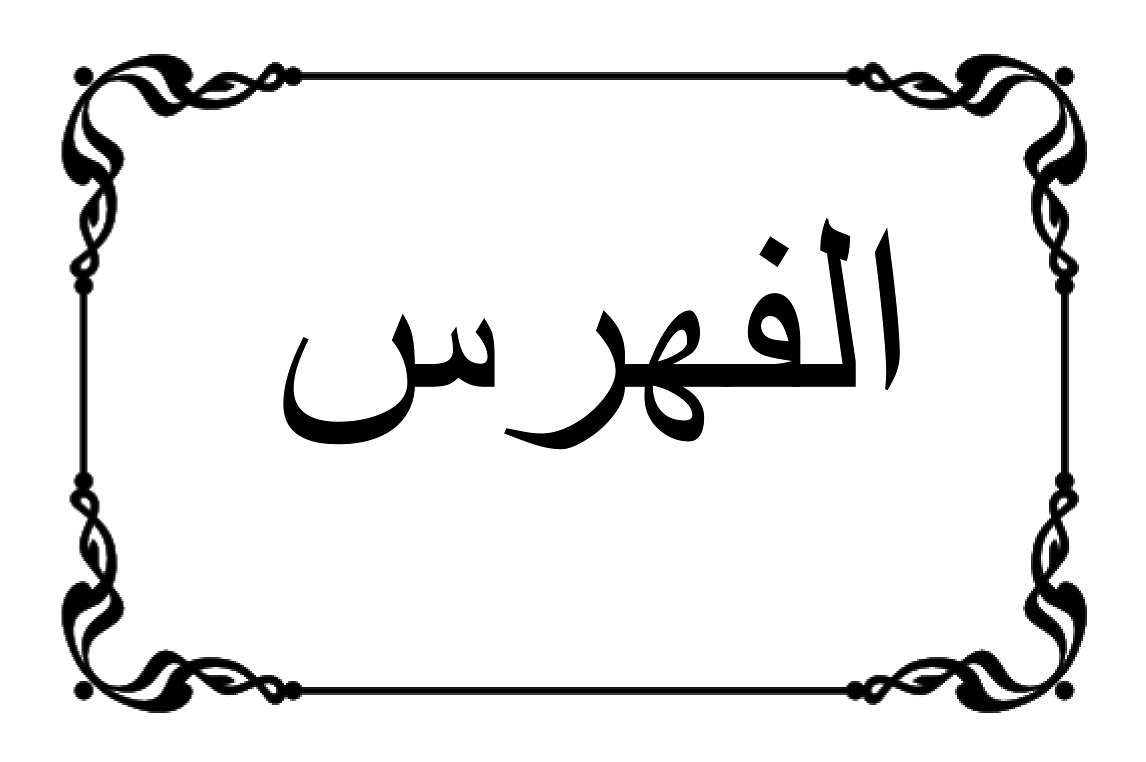
أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المؤطر **"بوعلي مبارك"** الذي تفضل مشكورا على الإشراف على هذه المذكرة أولا، وثانيا مشكور على كل مجهوداته في تصحيحها وافادتنا وتصويبنا في هذا البحث.

كما أتقدم بالشكر إلى كافة **الأساتذة في قسم الفلسفة** دون استثناء تقديرا لمجهوداتهم لما قدموا لنا من علوم ومعارف في مجال الفلسفة.

وكل التقدير والشكر الى الأستاذ **"حاج هشام"** نظيرا لمجهوداته في توجيهنا أثناء التدريب الميداني، وشكر والاحترام للأستاذة **"منال بوساحية"**التي أفادتنا بنصائحها.

والشكر موصول للجنة المناقشة الذين تفضلوا في مناقشة هذه المذكرة.

كما أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد.



الفهرس

الفهرس

مقدمة

مقدمة:

لا يستطيع أحد منا تجاهل منجزات الحضارة الغربية، فهي موجودة في كل نواحي حياتنا، سواء في طريقة عيشنا أو طريقة إدارتها للكثير من شؤوننا، كما أن للفكر الفلسفي دورا هاما في الحضارة الغربية، لكونه أحد أهم السمات التي تميز الفكر البشري، وذلك نتيجة تفرد الفلسفة عن بقية العلوم وبوصفها منهجا في التفكير والبحث في ماهية الوجود وطبيعته.

ولقد تساءل الإنسان يوما مدفوعا بحب الاستطلاع الفطري عن أسباب التشابه والاختلافات التي كان يراها في الطبيعة والتغيرات التي تحدث داخلها، وذلك محاولة منه البحث عن هذا السبب، ولقد ظهرت في العصر الحديث أهم النظريات التي عالجت هذه المسألة وهي **"**نظرية التطور**لتشارلز داروين Charles Robert Darwin(1809- 1882)**، الذي طرح مشكل وجودي عن الأصل، وكانت هذه النظرية محل قراءات الكثير من النقاد والفلاسفة، كما أن لها أثر بالغ في فكر بعض الفلاسفة، مثل **فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844- 1900)** الذي قرأ الفكر الدارويني واهتم بأهم أفكاره.

وبناءا على ما سبق طرحت الإشكالية التالية:

كيف ساهمت وتجلت الداروينية في فلسفة نيتشه؟

- وتنحل هذه الإشكالية إلى أسئلة جزئية:
  - ❖ هل فكرة التطور إبداع دارويني أم سبقه إلى ذلك غيره؟
  - ❖ ماذا يقصد داروين بالتطور؟
  - ❖ كيف تجلت فكرة التطور الداروينية في فلسفة نيتشه؟
  - ❖ هل هناك تماهي بين فكرة التطور عند داروين وفلسفة نيتشه؟

تلك هي بعض الأسئلة التي سأحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث، والذي دفعتني إليه مجموعة من الأسباب تتراوح ما بين الذاتي والموضوعي:

فالأسباب الذاتية تمثلت في:أولا الرغبة في قراءة نظرية التطور وحب الاطلاع على أهم ما جاءت به من أفكار حول نشوء وارتقاء الأحياء.

وكذلك الرغبة في البحث عن أثرها في الفكر الفلسفي الغربي، وخاصة عند نيتشه وكيف قرأ الفكر الدارويني.

أما الأسباب الموضوعية فقد تمثلت في:من أبرز الأسباب التي جعلتني أختار هذا العنوان هو الاهتمام بالفلسفة الغربية، وكذلك بحكم التخصص فيها.

بالإضافة إلى محاولة الاطلاع على القراءات التي قام بها نيتشه لبناء فكره الذي يعد جزء من الفلسفات التي أسست وشكلت العالم الغربي المعاصر.

وتكمن أهمية هذا الموضوع: في ايضاح مدى تأثر نيتشه بداروين، وتبنيه لأهم أفكاره وتجسيدها في فلسفته، وكيف حاول هذا الفيلسوف رصد مصطلحات داروين والعمل عليها وبناء قراءة جديدة لهذا الفكر.

وقد اعتمدت على مناهج في هذا البحث، والتي ستساعدني في استخلاص النتائج المحققة في هذه الدراسة.

فلقد استعملت المنهج التاريخي في تتبع فكرة التطور، وكذلك المنهج التحليلي في تحليل الأفكار التي تضمنتها المذكرة ومحتواها الفكري.

كما استخدمت المنهج المقارن في رصد أهم الفروق التي ميزت كل من داروين ونيتشه وما حملته أفكارهما.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث:

هي ندرة المراجع حول هذا الموضوع في مكتبتنا، وكذلك ضيق الوقت في دراسة هذا الموضوع بشكل جيد وصعوبة فهم مصطلحات نيتشه.

ولقد اعتمدت في دراستي لهذا البحث على أهم المصادر والمراجع

المصادر: كتاب أصل الأنواع تشارلز داروين ترجمة إسماعيل مظهر، وكذلك الى أهم كتب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت، في جينيالوجيا الخلاق، عدو المسيح)

بالإضافة أهم المراجع: كتاب مرتضى فرج الداروينية، صفاء عبد السلام علي جعفر قراء جديدة لفلسفة نيتشه، عبد الرزاق بلعقروز نيتشه ومهمة الفلسفة، صلاح محمود عثمان الداروينية والإنسان نظرية التطور من العلم إلى العولمة.

واعتمدت في بحثي هذا على الهيكلة أو الخطة التالية حيث كانت مقدمة بثلاث فصول وخاتمة:

لقد كان الفصل الأول بعنوان: فكرة التطور قبل داروين، وتم تقسيمه إلى ثلاث مباحث: المبحث الأول فكرة التطور عند الإغريق، المبحث الثاني فكرة التطور عند العرب، المبحث الثالث، فكرة في العصر الحديث (لامارك).

أما الفصل الثاني كان بعنوان: نظرية التطور عند تشارلز داروين، وتم تقسيمه الى ثلاث مباحث: المبحث الأول فكرة الصراع من أجل البقاء، المبحث الثاني فكرة البقاء للأصلح، المبحث الثالث الداروينية كمذهب فلسفي.

والفصل الثالث بعنوان: الداروينية في فلسفة نيتشه، والذي قسم إلى أربعة مباحث: المبحث الأول فكرة الأصل في فلسفة نيتشه (المنهج الجينيالوجي)، المبحث الثاني البقاء للأصلح في

فلسفة نيتشه (البقاء للأقوى)، المبحث الثالث تأثير فلسفة نيتشه في الفكر الفلسفي، المبحث الرابع الفرق بين أفكار نيتشه وأفكار داروين.

الفصل الأول

فكرة التطور قبل داروين

إن ما يعيشه العالم اليوم، من تقدم حضاري وما يتماشى معه من تطور للعلوم والصناعات ومختلف المجالات، هو في حقيقة الأمر امتداد لتطوروامتزاج حضارات مختلفة عبر التاريخ.

ولقد كان سؤال ما أصل الكون؟ أول الأسئلة التي حاول الإنسان البحث فيها، وذلك انطلاقا بالتخلص من كل تفكير ميتافيزيقي في البحث عن هذا السؤال، والاتجاه إلى العالم المادي ومحاول تقصي سر تكون الكائنات الحية وكل ما هو موجود في الطبيعة، وكانت

البدايات الأولى لهذا البحث من الحضارات القديمة واستمر إلى غاية ظهور علم في العصور الحديثة.

المبحث الأول: فكرة التطور عند الإغريق

إن من بين الفلاسفة اليونانيين الذين طرحوا أفكار مهمة حول نشوء الأحياء، وبحثوا في أصل الوجود وفي طبيعته المادية وأشاروا إلى كيفية تطور الكون والأحياء، وقد أفادة آراء هؤلاء الفلاسفة في إرساء قواعد وأسس بعض جوانب النظرية التطورية،ولقد كانت فكرة التطور أو فكرة تحول الكائنات الحية من نوع لآخر متداولة بشكل ما في اليونان القديمة في حقبة ما قبل سقراط أو ما يطلق عليهم فلاسفة الطبيعة، حيث كانوا يهتمون بتفسير الظواهر الطبيعية عن طريق التأمل واستخدام المبادئ المنطقية الأولية والملاحظة البسيطة،ومن فلاسفة اليونان الذين بحثوا في تطور ونشوء الأحياء نجد:" **Thales ,Anaximandre,Empédocle ,Héraclite, Aristotle".**

أولا : طاليس(Thales624-546ق.م)

أحد فلاسفة **أيونية***الطبيعيين، وهو ذلك الفيلسوف الذي وقع عليه اختيار أرسطو ليكون أول الفلاسفة في نظره، فهو من بين المفكرين الذين حاولوا البحث في أصل الوجود والموجودات، وكذلك تحليل أسباب التنوع البيئي.

لم يتصور طاليس قوى الطبيعة بصورة مجسمة، ولم يقس تنوع الكائنات بالرجوع الى الآلهة كما فعل **(هوسيودوس**)** بل نظر إلى الأشياء كما هي في الواقع، وكما تدركها الحواس وحاول أن يبين علاقة بعضها بعض عن طريق الاستقراء والبرهان، وبذلك وضع أساس العلم والفلسفة بالمعنى الصحيح.(1)

لقد أطلق طاليس بصره إلى الطبيعة، يستطلع تلك المادة التي تكون منها الكون، والتي تصلح أن تكون مادة أولى تتكون منها الأشياء جميعا وإليها ترد،ولابد لتلك المادة المنشودة في فكر طاليس أن تكون مرنة شديدة المرونة في قابليتها، لتشكل في صورة مختلفة وألا تكون محدودة الصفات، محصورة الخواص، حتى تتسع لكل شيء في هذا العالم.

فلقد رأى طاليس أن الماء هو الجوهر الأساسي بل الأصل الأوحد للكون، وهو المادة الأولى التي تتكون منها الأشياء، وقد دعم رأيه هذا بدليل معتقد أن ما يتغذى منه شيء، فهو بالضرورة يتكون منه مستدلا بهذا من خلال مشاهدته لشواطئ أيونية.

وكذلك **لدلتا***المصرية، حيث يقول:"إن النبات والحيوان يتغذيان بالرطوبة ومبدأ الرطوبة الماء، بل إن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئا فشيئا، كما يشاهد في الدلتا المصرية وفي أنها أيونية، حيث يتراكم الطمى عاما بعد عام، وما يشاهد في هذه الأحوال الجزئية ينطبق على الأرض بالإجمال".(2)

إن فكرة طاليس حول أصل تكون الموجودات وتطور الكائنات الحية، تتمثل في أن هناك مكون أساسي وأول في حدوث تطور الكائنات،وحدده في عنصر الماء، حيث رأى طاليس أن من الماء أبدعت كل الجواهر، وهو علة كل الأشياء، وعلة كل مركب من العنصرالجسماني وأنه حين جمد الماء تكونت الأرض وحين انحل تكون الهواء ومن صفو الهواء تكونت النار.

---

*أيونيا: هي مدينة إغريقية قديمة تقع على الساحل الغربي لأسيا الصغرى على البحر المتوسط، وشهدت هذه المدينةولادة الفلسفة،واستوطن الأيونيون هذا الساحل منذ القرن 10 ق.م

**هوسيودوس: حوالي (750- 650 ق. م) يعد من أول وأهم شعراء اليونان، مؤلف ملحمتين الإلياذة والأوديسة.

(1)- محمد كامل عياد: تاريخ اليونان،ج1، دار الفكر، الإسكندرية-مصر، 1980،ص144

* دلتا: هي عبارة عن نهر في شكل أرضي مثلثي الشكل يتكون من ترسيب ويحملها النهر، أو ما نسميه بمصب النهر.

(2)- مصطفى النشار: تاريخ الفلسفة اليونانية (من منظور شرقي)، ج1، دار قباء، دط، القاهرة- مصر، 1998، ص105

فطاليس يعتبر الماء هو المكون الأساسي، وما يقع في الوجود هو نتيجة استحالة الماء حتى لو تغير في حالاته الثلاث، الغازية والصلبة أو السائلة،فهو يراه المادة الأولى التي صدرت عنها الكائنات وإليها تعود.[1]

ثانيا: أنكسيمندر (Anaximandre 610-550 ق.م)

خلف طاليسفي أبحاثه عن الطبيعة ومبادئ تطور الكائنات، معروف كأول من وضع خريطة أيونيا، لقد أدرك أنكسيمندر أن أفضل تفسير للطبيعة لا يمكن أن يعتمد دائما على ما نراه مباشرة،ولكنه يتطلب الغوص في أعماق الأشياء أكثر، لذلك نجده يرفض أن يكون الماء هو المبدأ الأول للأشياء، حيث أنه يقول أن المبدأ الأول في الكون لا يمكن أن يكون معينا وأسمى هذه المادة **بالآبيرون Apeiron**، وهو من اللفظ اليوناني (**بيراس Peras**) أي المحدود أو نهائي. وهذه المادة اللامتناهية هي مادة هلامية بلا صفات، وغير متعينة من ناحية الكيف وغير محددة الكم، "بالإضافة إلى وصفه على أنه سرمدي يحوي كل الألوان، ومنه نشأة الأشياء وإليه تعود مرة أخرى."[2]

لقد اعتقد أنكسيمندر أن هذه المادة تمتد، والسبب الذي طرحه بقوله لهذا الرأي، هو أنه لوكان للمادة قدر محدد لكانت قد استنفذت منذ فترة طويلة في خلق العوالم المتعددة وفنائها، من ثم سمى مادته هذه اللامتعينة. وبالنسبة لهذه العوالم المتعددة فإن الرأي الشائع عن أنكسيمندر هو أنه يؤمن بأن العوالم تتابع في الزمان، وأنه قد خلق في البداية عالم وتطور وإنهار ثم ولد عالم آخر وتطور ثم إنهار وأن الدورة المنتظمة للعوالم تستمر إلى الأبد.[3] وعلى هذا فأنكسيمندر لم يوافقطاليس على أن الماء هو المبدأ الأول للأشياء لاستحالة الجامد إلى السائل بالحرارةفالحار والبارد، سابقان عليه.[4]

فلقد لاحظ أنكسيمندر أن الأشياء التي ندركها من خلال الحواس، تأتي في مجموعات متضادة كالساخن والبارد أو الرطب والجاف على سبيل المثال، وهذه العناصر في حالة صراع دائم، حيث يقول "إنها تعاقب بعضها البعض على الظلم الذي تقترفه طبقا لتقييم الزمن"، ففكرته هذه تتلخص في أن الأشياء تعتدي على بعضها مرتكبة الظلم وتتبادل دور الضحية والمعتدي المنتقم، ويلعب الزمن دور الحكم،ونحن نرى هذا الصراع في تعاقب

(1)- أحمد أمين وزكي نجيب مجمود: قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر،ط2، 1935، ص23
(2)- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية (تاريخها ومشكلاتها)، دار قباء، دط، القاهرة-مصر، دط،1998،ص52
(3)- ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، دط، 1984، القاهرة- مصر، د ط، 1984، ص33
(4)- أحمد السيد علي رمضان، الفلسفة اليونانية (عرض ونقد)، دار الدراسات العلمية، السعودية، ط2، 2012، ص 298

الليل ونهار بالإضافة الى صراعات أخرى فأحيانا تهاجم النيران الماء فتعمل على تبخيرها وينعكس الصراع ويرد الماء بإخماد النار ويتكرر هذا التضاد بين العناصر.[1]

كما أن المجودات تنشأ عن الآبيرون من خلال الاتصال والانفصال، حيث تتكون العناصر الأربعة مع بعضها ويكون ذلك بسيادة قانون العدالة أثناء عملية التكوين، وتعني العدالة أن كل واحد من هذه العناصر الأربعة مقداره ومكانه الذي يجب ألا يتعداه، أي أن هناك حدود لكل عنصر من هذه العناصر، وأن الالتزام بهذه الحدود يعني العدالة، لكن فكرة العدالة أيضا تقتضي بأن كل عنصر من هذه العناصر لابد أن يتحد مع غيره، وتتصل هذه العناصر في الآبيرون كالتالي: في المركز يوجد ما سماه البارد والرطب، يغلفه الهواء ثم دائرة من اللهب أو النار، ويتم انفصال هذه العناصر بطريقة آلية عن الآبيرون، وبفعل الحركة الدائرية أو الدوامة وهي حركة أزلية خالدة وعلة انفصال الأضداد عن بعضها البعض.[2]

فمن هذه العملية تتكون العوالم والكائنات الحية، وذلك من خلال العناصر الأربعة الموجودة داخل المادة اللامتناهية واللامحدودة، حيث يحدث الانفصال والاتصال بين العناصر، وتتحول العناصر وتشكل البارد والحار، حيث نتج من البارد كل ما هو رطب، فمن هذه المادة الباردة تصبح الأرض في مركز الكون، والمادة الحارة تتجمع على شكل محيط ناري حول الأرض.

فكما فسر أنكسيمندر نشأة الكون،فسر أيضا نشأة وتكون الكائنات الحية، فلقد انبثقت الحياة من الضباب بفضل تحفيز حرارة الشمس، فبعد التبخر تولدت الكائنات الحية في طين البحر، وهو مزاج من التراب والماء والهواء، فلقد اعتقد أنكسيمندرأن المخلوقات الأولى كانت عبارة عن حيوانات مائية محاطة بشرنقة شائكة أو قشرة، ولقد اعتقد أيضا أن البشر الأوائل كانوا محمولين في أحشاء الأسماك أو كائنات تشبه الأسماك، تؤدي دور الأم البديلة، وعلى ما يبدو أن ما دفعه إلى هذا القول هو ملاحظته أن الإنسان يحتاج فترة كبيرة من الرضاعة بشكل استثنائي لا يستطيع فيها الاعتناء بنفسه، إضافة لاعتقاده أن أوائل البشر ما كانوا ليظلوا على قيد الحياة إذا ما اعتمدوا على أنفسهم،وما أن اعتنت بهم الأسماك زمنا طويلا في بطنها إلى أن نمت قواهم،وصاروا يستطيعون الاعتناء بأنفسهم بعد ذلك خرج الجيل الأول من الأطفال المائيين إلى اليابسة، حيث أصبحوا قادرين على الاعتناء بصغارهم فيما بعد.[3]

---

[1]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية،السلسلة الفلسفية مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ط1، 1936، ص 16

[2]- عبد الجليل الكاظم الوالي، الفلسفة اليونانية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2009، ص 63- 64

[3] - يوسف كرم، مرجع سابق، ص17

مما سبق نقول أن أنكسيمندر يفسر تكوين الأشياء تفسيرا آليا، أي بمجرد اجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة دون علة فاعلة متمايزة أو غائية، وهو في تصوره يفسر تطور الكائنات الحية وتكون الكون.

ثالثا: هراقليطسHéraclites(544-470 ق.م)

هو فيلسوف يوناني في عصر ما قبل سقراط، كتب بأسلوب غامض، والسبب أنه كان يطيب له المفارقات والأقوال الشاذة، وكان يعبر عنها بلغة مجازية رمزية، ويقول عنه **أفلوطين***"كان يتكلم بالتشبيهات ولا يعني بإيضاح المقصود"، وكان أول من قال **باللوجوس**** والذي استخدمه بمعاني عدة.[1]

لقد أرجع هراقليطسأصل الخلق والوجود إلى النار والتي يراها المبدأ الأول، حيث فسر وجود هذا العالم من خلال تلك النار الخالدة، التي اعتبرها أقرب الى الطاقة الداخلية الملازمة لحياته وتجدده، ومن الواضح أن هده لنار ليست النار المادية المحسوسة التي اعتبرها فلاسفة الطبيعة أحد العناصر الأربعة، ولكنها النار العاقلة الحية فهي رمز للحياة ولحيوية العالم والتفاعلات والتي تسري فيه.[2]

وكان هراقليطس يزعم أن النار هي الأصل الأول لجميع الأشياء، فهو يقول أن هذه النار أثرية لطيفة، حية عاقلة وأزلية تملأ العالم، ولكن عندما يعتريها الوهن تصير نارا حسية،[3] فهو يعد سبب التغيرات التي تجري في الطبيعة، أي عملية تحول المادة إلى أشكال متعددة، يعد سببها هو النار.[4]

والسبب الذي دعاه إلى القول بأن النار هي العنصر المكون للوجود هو أنها أقل العناصر ثباتا، فهو يعتبر هذه النار الخفية هي أساس تكون الكائنات الحية، فالنفس الإنسانية لديه عبارة عن بخار حار، فالحرارة ضرورية للكائن الحي فهي منتشرة فجميع أجزائه.[5]

وكان ينسب ظهور وحفظ كل الأشياء، بما في ذلك الكائنات الحية، إلى علاقة عدائية بين الأضداد، والتي مع ذلك تتفاعل بداخل وحدة أساسية،ووفقا لمفهوم هراقليطس، فإن العالم سيكون مثل طائر العنقاء الفريد من نوعه والذي يأتي من النار، كعنصر أساسي لكي يعود

---

*أفلوطين: نحو(205- 270 م) فيلسوف يوناني، يعتبر أبرز ممثلي الأفلاطونية المحدثة، أبرز أفكاره وحدة الوجود ونظرية الفيض.

** اللوجوس: logos كلمة يونانية تعني عدة معاني (الكلمة، اللغة، الفكر، الحقيقة...) وأول من قال بهذا المصطلح هو هراقليطس(أنظر عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ص134)

[1]- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1984، ص536

[2]-مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية (من منظور شرقي)، مرجع سابق، ص 134

[3]- عبد الرحمان مرحبا، تاريخ الفلسفة اليونانية (من بدايتها حتى المرحلة الهيلينستية)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1993، ص 103

[4]-عبد الجليل كاظم الوالي، الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص103

[5]- مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية (من منظور شرقي)،مرجع سابق،ص133

مرة أخرى إلى هذا العنصر الحي دائما، ولكي يظهر مرة أخرى في دورات متجددة باستمرار.[1]

ويرى هراقليطس أن الأشياء تتغير باستمرار، ومصدر ذلك النار، وهذا لأن طبيعة النار هي الاحتراق، والاحتراق تغير، فكل شيء في هذا العالم ظاهرة لا تكف عن الاحتراق، وبهذه العملية الشيء يتحول باستمرار إلى الأخر، وليست هذه الحياة التي تدب في الأحياء، وهذا النشاط العقلي الذي يميز الإنسان، إلا قبسا من تلك النار، فكلما كثرت النار في الجسمازدادت حيويته واشتد نشاطه، وكلما أظلم الشيء أي قل ما فيه من نار كان أقرب إلى الموت واللاموجود.

وبتعبير آخر كل شيء يخرج من النار، وإلى النار يعود، لأن الوجود في الحقيقة عملية مستمرة للصيرورة، وعملية التحول هاته تأخذ اتجاهين: طريقا صاعدا، وآخر هابط، فالصاعد يبدأ من التراب ثم الرطوبة ثم نار، ولهابط يبدأ من النار إلى الرطوبة فالتراب.[2]

ومن خلال ما طرحه هراقليطس، نرى أنه تناول فكرة التطور بتعبيره هو التغير والاستمرارحيث رأى أن الطبيعة من مميزاتها التغير الدائم وهذا ما أوضحه من خلال مقولته الشهيرة، "أننا لا نستطيع السباحة في النهر مرتين"، وهذا لشدة تغير الماء فيه باستمرار، فجميع المخلوقات في نظره أتت من النار التي هي مصدر كل شيء واليها تعود جميع الكائنات، فتجسد النار في المخلوقات تتابع في شكل دورات،وذلك لأن النار تحمل صفة التغير فيها، فجميع الكائنات الحية تتغيرففي بدايتها تحيا على شكل ما وعندما تموت تظهر في شكل آخر لتستمر الدورة.

رابعا: أنبذوقليس Empédocle (490- 430 ق.م)

فيلسوف يوناني أشتهر بالطب، وتوصل في علم الحياة إلى نظريات تقترب كثيرا من النظريات الحديثة في تطور الكائنات الحية، إن مذهب أنبذوقليس هو محاولة للتوفيق بين آراء هراقليطسفي التغير المستمر وآراء بارمنيديس في الثبات الدائم، فقد رأى أنبذوقليس أن هناك جانبا من الحقيقة عند كل من هذين الفيلسوفين.[3]

لم يحاول أنبذوقليس رد الأشياء إلى مادة واحدة كما فعل الأيونيون، فلقد ابتدع فكرة الجذور أو الأصول الأربعة أو ما يسمى بالعناصر الأربعة(النار، الهواء، الماء، التراب) ولقد أخذت فكرة النار مجالا كبيرا في بحثه عن أصل الكون، وأما الهواء المحيط فهو

[1] - دينيس بيكان، سيدريك جريمو، تر: بسنت عادل، دار صفصافة، الجيزة، د ط، 2018، ص 16
[2]- أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، مرجع سابق، ص104
[3]- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص226- 227.

متميز في رأيه باعتباره جوهرا مادي لا يمكن التوحيد بينه وبين الخلاء، وأما الماء فلا يوصف بالسيولة كما يظن ولكنه شيء يختلف عن ذلك، فالإجاد الطبيعي بهذه النظرة عبارعن عملية امتزاج وتبادل بين العناصر، حيث يحافظ كل عنصر منها على صفاته، مهما تكرر امتزاجه، وتبادله فالأشياء جميعا تتكون من هذه العناصر الأربعة.[1]

وعليه فإن العناصر الأربعة أو جذور كما يسميها أنبذوقليس، هي المبدأ الأول للعالم الطبيعي عنده، فلقد جعل هذه المبادئ سواء ليس بينها أولا ولا ثان بل هي متساوية في الجوهرية والأزلية والأبدية، ولا تتكون ولا تفسد فلا يخرج بعضها من بعض، لكل منها كيفية خاصة: الحار للنار والبارد للهواء والرطب للماء، واليابس لتراب، فلا تحول بين الكيفيات، ولكن الأشياء وكيفياتها تحدث بانضمام هذهالعناصر وانفصالها، وذلك بمقادير مختلفة على نحو ما يخرج المصور بمزج الألوان صورا شبيهة بالأشياء الحقيقية، وإنما تجتمع العناصر وتفترق بفعل قوتين كبيرتين يسميهما المحبة والكراهية.[2]

لقد ذهب أنبذوقليس أيضا إلى أن أصل الأشياء هو المحبة والكراهية، وهما القوة المحركة للمادة (الأجسام الطبيعية)، فتجتمع الأجسام وتتكون بالمحبة، وتفترق وتفنى بالكراهية والعدوان، ويتغلب كل منهما حينا في الدور الواحد دون أن تستقر الغلبة للمحبة، فمرة تسود الوحدة الساكنة، ومرة تسود الكثرة المضطربة، فيمر العالم بدور المحبة وتتخلله الكراهية وتحاول إفساده، ثم بدور الكراهية تتخلله المحبة وتعمل على إصلاحه، فتارة ترجع الكثرة إلى الوحدة، وطورا تنتقل الوحدة إلى الكثرة، وتتعاقب الأدوار كل منها كان بالتمام إلى مالا نهاية.[3]

ولقد أرجع أنبذوقليس أصل الكائنات الحية إلى أنها " توجد في الطميالذي يتم تسخينه بواسطة نار داخلية واهبا الحياة لأجزاء من الكائنات الحية ولأعضاء متناثرة كما على سبيل المثال: أطراف معزولة،أعين بدون رأس، رؤوس ماشية بدون قرون ...".[4]وتكونت هذه الأعضاء وتجمعت عن طريق الصدفة،وشكلت تركيبات غير منتظمة، ومن هذه الأعضاء الغير المنتظمة تكونت حيوانات عجيبة، يصفها أنبذوقليس بالوحوش الغريبة، مثلا نجد رأس إنسان بجسد حيوان وهكذا تركيبات أخرى، إلى أن ظهرت الكائنات القابلة للبقاء.[5]

واهتم كذلك بوظائف أعضاء الحيوانات، ولقد رأى أن الحيوانات لم تولد مباشرة على الأرض، وإنما وجدت نتيجة التكاثر الجنسي، ولم يقم كذلك باشتقاقالحياة الحيوانية

---

[1]- جعفر آل ياس، فلاسفة اليونانيون(من طاليس إلى سقراط)، دار البصائر، بيروت- لبنان،ط1، دس، ص105.
[2]- يوسف كرم، مرجع سابق، ص 46 .
[3]- أحمد السيد علي رمضان، مرجع سابق، ص304
[4]- دينيس بيكان و سيدريك جريمو، مرجع سابق، ص 16- 17
[5]- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية(تاريخها ومشكلاتها)، مرجع سابق، ص103

الحالية من الحياة الحيوانية القديمة التي يغلب عليها الطابع الوحشي، ومع ذلك فنحن نرى ذلك عن طريق بعض المصادفات، وتكلم عن تعاقب الأجيال الحيوانية حيث تذهب أجيال لتحل محلها أجيال أخرى، وكان أنبذوقليس ينظر إلى العالم الحي كامل في وحدته، معتبرا الأشجار كنوع من أنواع الحيوانات، آخذ في اعتباره هذا التشابه الجزئي بين أوراق الشجر وشعر الإنسان وريش الطيور.[1]

إن طرح أنبذوقليس حول نشوء الأحياء وتكون العالم تجسد في امتزاج الجذور الأربعة، ولقد أرجع تشكل الأحياءإلى الصدفة،فمن خلالها استمرت وانتشرت الكائنات الحية، بالإضافة إلى أنه طرح فكرة بقاء أصلح من الكائنات الحية وأكثرها قدرة على التكيف، ولقد رأى أن العالم يتأرجح بين مملكة الكراهية ومملكة الحب، وذلك وفقا لدورات متتالية.

خامسا: أرسطو**Aristotle**(322-384 ق.م)

فيلسوف يوناني ولد في مدينة أسطاغيرا*، كان أبوه نيقوماخوس **Nicomachus** طبيبا للمك آمنتاس ملك مقدونيا، وهذا أول سبب لاتصال أرسطو اتصالا وثيقا بالبلاط المقدوني، ولقد تعلم أرسطو في أكاديمية أفلاطون، بحث أرسطو عن الحقيقة كأفلاطون ولكنه اتبع فكره الخاص، خاصة في تأثره بالمذهب الطبيعي ولقد ألف أرسطو حوالي أربعمائة كتاب من بينها كتاب "ما بعد الطبيعة،الطبيعة، الأرغانون، تحليلات الأولى والثانية، الحيوان..."، ولقد وصف أرسطو كأكبر مصنف لطبيعة وتدرج الكائنات الحية.[2]

يرى أرسطو أن الموجودات في هذا العالم متدرجة في الرقي، وأنها واقعة بين نهايتين هيولي لا صورة لها، وصورة لا هيولي لها، ووظيفة الفلسفة الطبيعية عند أرسطو هي تبين النشوء والإرتقاء الذي سلكه العالم من هيولي إلى الصورة، فالعالم في سيره من الهيولي إلى الصورة يتحرك نحو غاية، فكل شيء في الوجود له غاية وله وظيفة يؤديها، ولا شيء في الوجود يتحرك لا إلى غاية والطبيعة تعمل وفق هذا.[3]

ففي عملية النشوء والإرتقاء تجذب الصورة العالم إلى الرقي دائما، والهيولي تعوقه وتؤخره، فحركة العالم تتلخص في جهد الصورة لتشكل المادة أو الهيولي و مقاومة

[1]- دينيس بيكان و سيدريك جريمو، مرجع سابق، ص 17
* أسطاغيرا Stagrius : وهي مستعمرة يونانية و مرفأ من بلاد مقدونيا .
[2]- أميرة حلمي مطر، تاريخ الفلسفة اليونانية (تاريخها ومشكلاتها)، مرجع سابق، ص 259
[3]- زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص145- 146

الهيولي للصورة، ولما كان للهيولي قوة المقاومة لم تنجح الصورة دائما بل فشلت أحيانا، وهذا هو السبب في أن الصورة لا توجد من غير الهيولي، لأنها لا تستطيع أن تتغلب غلبة تامة على مقاومة الهيولي.

ولقد قال أرسطو بفكرة العضوية **Organiation** حيث أن صورة الكائنات الحية، هو عضويتها، ووجود أعضاء لها، والأعضاء هذه لها وظائف طبعا، وكلها تتحرك لغاية، كل الكائنات الحية الغير عاقلة لا تعرف غاية وجودها، إلا الانسان هو الذي يعرف غاية وجوده لأنه كائن عاقل.[1]

ويؤكد أرسطو أنه ليست الصدفة التي تسود كائنات الطبيعة بل إنها الدقة، ولقد قام أرسطو بمقارنات للكائنات الحية وفق لمنهجيته بالتشابه الجزئي، مما أدى إلى تكوين مقدمة في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء المقارن، فإن مؤلفاته المهمة مثل: أجزاء الحيوانات، حركة الحيوانات وأجيال الحيوانات، تعتبر أجزاء في سلم الأنواع، وكباحث ذا منهج تجريبي تتبع أرسطو يوما بعد يوم، تطور جنين الدجاجة في البيضة، واستنتج من ذلك عن طريق منهجيته بالتشابه الجزئي مع تطور جنين الإنسان، وعن طريق اكتشاف التطور المستمر للأعضاء أثناء مرحلة التطور الجنيني، كان أرسطو مناصرا لمفهوم علم التخلق ومعارضا لمفهوم التكوين المسبق، إن فرضية التكوين المسبق تقضي بالنمو في داخل البذرة وتختلف الأجزاء بداخل الجنين ويصبح حجم هذه الأجزاء مرئيا لنا أكثر فأكثر عندما تزداد في الحجم، مقتربا من الأفكار السائدة حاليا، رأى أرسطو العكس التطور المستمر للبذرة بداية من المرحلة الأولية غير المتمايزة.[2]

ولقد وجد أرسطو في النباتات ارتقاء نحو المملكة الحيوانية ونحو نوعنا أيضا، وعندما قام أرسطو بدراسة الإنسان بوصفه حيوانا كسائر الحيوانات، اعتبر الإنسان هو الوحيد الذي حقق أهداف الطبيعة، مقارنا في ذلك بين الإنسان وبين الحيوانات الأخرى التي بدت له مثل الأقزام والكائنات المشوهة وغير مكتملة، ولقد دعم أرسطو من الناحية النظرية فكرة بقاءواستمرار الأنواع.[3]

لقدساهم فلاسفة الإغريق في فتح آفاق للبحث عن نشوء الأحياء والموجودات حيث ارتبط بحثهم بملاحظتهم للطبيعة، وما يحدث فيها من تطور، فلقد رأى طاليس أن المخلوقات تخلق من طمأ الذي يحدث من خلال تكون الماء، كما أنه شرح التنوع الذي يحدث في الطبيعة، أما أنكسيمندر الذي رأى أن الكائنات كانت كلها في البحر، ثم انتقلت إلى اليابسة وذلك بسبب تبخر الماء وانحصاره وظهور اليابسة، أما هراقليطس فلقد رأى أن التغير

[1]- موقع إليكتروني: https://arbicevo.wore، تاريخ الدخول: 2022/01/12 ، الساعة: 10:30.
[2]- دينيس بيكان وسيدريك جريمو، مرجع سابق، ص 20- 21
[3]-دينيس بيكان وسيدريك جريمو، مرجع سابق، ص 23

المستمر الذي يحدث في الطبيعة هو السبب الوحيد في تطور الكائنات وكل الموجودات، أما أنبذوقليس فلقد رأى أن الكائنات نشأت في بدايتها بالصدفة وذلك من أعضاء مختلفة ثم تشكلت إلى مخلوقات عجيبة إلى أن طرأ عليها التغير وظهرت الكائنات القابلة للبقاء، بالإضافة إلى التقاء العناصر الأربعة الذي ساهم في التنوع البيئي، كما أن أرسطو أيضا من بين الذين تحدثوا عن فكرة التطور حيث رفض الصدفة في التطور البيئي وقال بالعضوية والتوالد التلقائي، وكشف التشابه الجزئي بين الكائنات الحية.

إن الحضارة اليونانية كانت بمثابة البذرة الأولى التي شكلت العلوم، فمن فلاسفة الطبيعة بدأ التفكير العلمي والتخلي عن التفسير الميتافيزيقي في فهم الطبيعة، ومن هؤلاء انتقلت فكرة التطور إلى الحضارات الأخرى.

المبحث الثاني: فكرة التطور عند العرب

لقد وصل تفكير بعض أقطاب الفكر العربي الى دراسات كانت محطة مهمة بالنسبة للعصر الحديث، خاصة في مجال العلم، ولقد تناولت بحوثهم العديد من القضايا خاصة المتمثلة أصل الوجود، حيث تعددت الطروحات ولآراء حول نشأة وتطور الكائنات الحية، وكان من بين مفكري العرب الذين بحثوا في نشوء الكائنات وتطورها (الجاحظ، وابن خلدون).

أولا: الجاحظ Al-Jahiz

هو أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكتاني الليثي المعروف بإسم الجاحظ البصري، ولد سنة **776** ميلادي في البصرة جنوبي العراق، وقلد شهدت البصرة نقاشات فكرية قوية في العلوم والفلسفة، كما شهدت حركة الترجمة لكبار الأعمال في الفكر والعلوم والفلسفة خاصة من الفكر اليوناني، مما ساهم في تشكيل فكر الجاحظ وساعدة على صياغة أفكاره، وتعددت اهتمامات الجاحظ بين الكثير من القضايا، وكان من بينها الجغرافيا والفلسفة والنحو والأدب وكذلك علوم الطبيعة،ومن أشهر مؤلفاته في الطبيعة كتاب الحيوان، المشكل في سبعة مجلدات، ولقد اعتمد في تأليف هذا الكتاب على العديد من المصادر الأصلية كالقرآن والسنة وكتاب أرسطو الحيوان، فلقد كتب عن تأثير البيئة على فرض

بقاء الحيوان وكان أول من وصف الصراع من أجل البقاء حيث توقع الاصطفاء الطبيعي.[1]

اهتم الجاحظ بدراسة الطبيعة في مختلف ظواهرها، من جماد ونبات،حيوان وإنسان، ويظهر هذا من خلال مؤلفاته، كتاب الحيوان الذي تحدث فيه عن (الحيوان والجماد)، وكتابالزرع والنخل والزيتون والأعناب والذي تطرق فيه إلى النبات، وكتاب العرب والموالي،وكتاب الجواري والعلمان قام فيهما بدراسة الإنسان، فلقد أورد الجاحظ في كتابه الحيوان تبينا مفصلا لتطور الكائنات الحية عن بعضها البعض بنظريته الخاصة في الصراع.[2]

لم يستعمل الجاحظ كلمة تطور في كتاباته، وإنما استعمل ألفاظ كالقلب والمسخ والنقل، قاصد بها تغير الكائن من حال إلى حال أخرى، والحديث عن تأثير البيئة والوراثة والقول بالتهجين، بإضافة إلى الحديث عن أصل بعض الحيوانات، كما أنه قال بنظرية التولد الذاتي أو التلقائي بمعنى أن بعض الحيوانات تتولد من مادة ليس فيها حياة، وذلك لما يلاحظه الناس من ظهور بعض الحيوانات فجأة، وذلك من خلال عناصر تمتزج فيما بينها وهي عناصر طبيعية(الماء، الهواء، التراب).

كما أن الجاحظ قام بتصنيف الكائنات وذلك بتقسيمها إلى رتب وأنواع، فالتطور بالنسبة إليه عبارة عن تقسيم وتصنيف وترتيب يعتمد على أفضلية الكائنات وشرفها، وكذلك يقسم الكائنات النامية إلى حيوان ونبات، ويقسم الحيوان إلى ثديات وطيور وأسماك وزواحف.[3]

فلقد لاحظ الجاحظ أن للبيئة تأثيرا بالغا على الحيوان والإنسان، فتأثير البيئة على شكل الإنسان تغير في مظهره الخارجي، حيث تبدو هيئته مسخا من المسوخ، له شعر طويل كالحيوان ووجه يشبه القرد، بالإضافة إلى العوامل الداخلية التي تأثر في الكائن الحي كالوراثة وغيرها.[4]

فقانون الوراثة الذي تحدث عنه الجاحظ في الحقيقة طريقة أخرى لتنوع الكائنات الحية، وهو التهجين ويقصد به تزاوج بين فردين مختلفين وفي صفة وراثية واحدة أو أكثر، بحيث ينشأ في النسل الهجين صفات وراثية جديدة مرغوبة، تحقق الغاية المطلوبة ألا وهي التنوع الوراثي في الأنسال، لقد تحدث الجاحظ عن التهجين وعبر عنه أحيانا

---

[1]- جيا فخري عمر، خليل حميد، النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن ثالث هجري، مجلة كلية التربية، العدد9، بغداد، دت، ص 264- 265

[2]- علي بوملحم، المناحي الفلسفية عند الجاحظ، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط2، 1988، ص68

[3]- محفوظ علي عزام، في الفلسفة الطبيعية (عند الجاحظ)، دار الهداية، دب، ط1، 1995، ص 139- 143

[4] - علي بوملحم، مرجع سابق، ص93

بالخلق المركب أو النتاج المركبفمن خلال ملاحظته رأى أن هناك حيوانات تولد من أبوين مختلفين، فمن هذا التركيب نتج حيوان جديد لم يكن موجود من قبل، إن هذا التركيب هو سب في التنوع البيئي، وتطور وظهور أنواع أخرى من الكائنات الحية.[1]

ولقد قال الجاحظ بالتطور النازل نحو الأحط والأردأ أو ما أطلق عليه اسم المسخ، فالإنسان عند الجاحظ هو الذي انقلب إلى قرد، وليس القرد الذي ارتقى إلى مرحلة الإنسانية، فالعوامل التي أدت إلى هذا النزول والمسخ، فهي البيئة التي أثرت في الإنسان وأحالته إلى قرد بسبب رداءتها وفساد هوائها وخبث مائها، ولكن هذا التطور ربما تم بالطفرة أي دفعة واحدة وربما استغرق دهورا طولا، وهذا التطور صحيح طالما لم يخالف الطباع، وبهذا يؤكد الجاحظ إيمانه بالتطور شرط أن يكون هذا التطور طبيعيا أي خاضع لقوانين الطبيعة.[2]

ويرى الجاحظ أن الحيوانات في صراع على البقاء والموارد،وحتى تتكاثر وحتى لا تفترسها حيوانات أخرى، ويرى أن العوامل بيئية تساعد الكائنات على تطوير سمات جديدة لضمان البقاء، فالحيوانات التي تبقى وتنقل صفاتها وسماتها الناجحة إلى ذرياتها.

لقد قام الجاحظ بمقارنات عديدة بين الإنسان والحيوان وذلك عن طريق التشريح، بالإضافة إلى الحالة النفسية، وذلك باستدلاله على وحدة الخلق ووحدة الخالق، ولقد اقتفى أثره في ذلك العديد من العلماء والمفكرين العرب، من أمثال ابن قتيبة وابن طفيل وابن عربي، وإخوان الصفاء وغيرهم من العلماء، وذلك ما تركه من دراسات حول الطبيعيات.

ثانيا: ابن خلدون (1332- 1406م)

عبد الرحمان ابن خلدون، مفكر عربي وهو صاحب المقدمة الشهيرة التي تعد مرجعا للتاريخ وللعلوم في أوروبا والعالم، بحيث ابن خلدون عن نشأة الكون والكائنات، وعرض ذلك خلال كتاباته خاصة في كتاب المقدمة.[3]

تكلم ابن خلدون في الفصل الخامس والعشرين في الباب السادس من المقدمة، على بحوث علوم الطبيعة والكيمياء والجيولوجيا وعلوم الأحياء(علم النبات،الحيوان،الإنسان)، الفيزيولوجيا، الميتورولوجيا، ويضع هذه الفروع كلها تحت عنوان الطبيعيات.

كما أن ابن خلدون طرح موضوع هام في الفصل الخامس من الباب السادس، وذلك حول بحوث في علم البيولوجيا وهو موضوع ارتقاء الأنواع وانشعاب بعضها البعض، وقد ذهب في هذا الموضوع مذهب سبق به جماعة الارتقائيين فيما يقرونه بشأن ارتقاء

---

(1)- محفوظ علي عزام، مرجع سابق، ص148- 149

(2)- علي بوملحم، مرجع سابق، ص93

(3)- محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1933،ص105

الأنواع، وانشعاب أعلاها من أدناها وتفرع الإنسان من القردة العليا أو تفرعها هي والإنسان عن أصل واحد مجهول.[1]

لقد عالج ابن خلدون فكرة التطور وذلك بإرجاعه إلى الالتزام بترتيب الكائنات القائم على الأدنى فالأعلى، وأنه حاول إضافة مشاهداته ونتائجها في تحليلاته، واتسمت نظرته حول التطور بأنها معالجة كونية وبيولوجية وطبيعية.

وانعدم في معالجته إلى حد ما ذلك الخلط بين المشاهدات العلمية وتأويلها الديني، إذ استبعد خلالها كل ما من شأنه التأثير على هذه الرؤية التي التزمت بالأجسام بصفة خاصة، ومحاولة البحث عن الظروف الطبيعية التي تؤدي إلى اختلافها أو تطورها.

كما أنه يؤكد مبدأ الخلق في التطور، حيث أن كل شيء عنده يسير بحكمته وعناية الله وإرادته، كما أن التطور لديه لم يأتي إلا في سياق الإيمان بلا شك، بالإضافة إلى أنه يرى الإنسان في خلقه تم بالأطوار مستدلا بذلك لقوله تعالى: "وقد خلقناكم أطوارا"[2]، وذلك أنه ينتقل من طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة، فالتصوير، الجنين، إلى مولود، ثم الرضيع ثم إلى غير ذلك حتى يصل إلى نهايته، ونسب الأجزاء في كل طور تختلف في مقاديرها وكيفياتها وإلا لكان الطور الأول بعين هو الأخير.[3]

يرى ابن خلدون أن الأسباب الطبيعية الفاعلة في الأجسام العضوية (الحية) والأجسام الغير العضوية كثيرة جدا، وهو لا ينكر الأسباب المادية بل يراها طبيعية في العلم الطبيعي، ثم لا ينكر أن يكون للكواكب تأثير في العالم الطبيعي.[4]

فهو يعتقد أن للمحيط والاقليم والهواء، وغير ذلك من العوامل أثر كبير في صفات الأجسام، أي يبين أثر البيئة على الإنسان، وبذلك سبق البيولوجيين في التأكيد على الأثر البيئي.

ويرى ابن خلدون أن الكائنات متماسكة الأجزاء ومتصلة الحلقات وكل واحدة منها يمكن أن تستحيل إلى ما يليها صاعدا و نازلا، وأحطها العالم المحسوس الجسماني، ويرى ابن خلدون أن آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ولا بذرله، وآخر أفق مثل النخل والكروم، متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ومعنى هذا الاتصال أن آخر أفق من هذه المكونات مهيأ بالاستعداد القريب لأن يصبح في أول الأفق

---

[1]- علي عبد لواحد، عبد الرحمان بن خلدون (حياته، آثاره وظاهر عبقريته)، مكتبة مصر، القاهرة- مصر، دت، ص314-316

[2]- سورة نوح، الآية 14

[3]- مجدي عبد الحافظ، فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام، تر: هدى كشرود، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة – مصر، ط1، 2005، ص 133

[4]- عمر فروخ، بحوث ومقارنات(في تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة في الإسلام)،دار الطليعة، بيروت–لبنان، دط، 2003،ص280

الذي بعده، وقد اتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وأنتهى في تدرج الكون إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية يرتفع من عالم القردة، إذن فالارتفاع إلى مرتبة الانسانية يأتي بالارتقاء من عالم القردة.[1]

ومن هنا يتبين لنا أن ابن خلدون كان عارفا بقانون التطور التدريجي، وعارفا في طبقات الموجودات وسلم الكائنات، وقد جعل من التطور عملية تدريجية عامة تشمل الكون بما فيه حتى المجتمع والعمران.

فابن خلدون استخدم كلمة مادة لتدل على العنصر المعنوي، فالعمران مادة في نفسها، للتطور وذلك بالانتقال من صورة أرقى، ومثال ذلك تطور العمران من البداوة إلى الحضارة.[2]

والتطور الاجتماعي عنده هو مجموعة من قوانين التغير العام التي يتحرك في إطارها العمران البشري، وهو سمة عامة تحوي كل شيء وتعمل على تبديل أحواله، ولعل من أهم مجلاته التي أوردها لنا ابن خلدون هو التغير الاجتماعي*، فكل مجتمع يتم بأحوال متعددة على مدى تاريخه، وتشمل كل هذه الأحوال الظواهر الاجتماعية التي يمكن تمييزها داخله، لذا على دارس العمران البشري أن يبحث في هذه الظواهر المتغيرة، ويعمل على اكتشاف العوامل التي تؤدي إلى تطور اختلاف هذه الظواهر، وذلك تبعا لاختلاف شعوبها والعصور التي تصاحبها، فالتطور هنا لديه يكونبالانتقال من مراحل البداوة إلى الحضر، وما تحمله هذه الانتقالية من تطور وانهيار تمر بها الشعوب، وهكذا نجد كيف يتطور العمران من أدنى مراحل البداوة إلى أعلى مراحل الحضارة.[3]

وشرح ابن خلدون حركة الظواهر الاجتماعية التي تمر بها المجتمعات كي تتطور، فكل مجتمع تحكمه قوانين يمر بها لكي يصل إلى مرحلة التحضر، أو ما أسماه ابن خلدون بقانون الأطوار الثلاث، ويقصد به أن كل مجتمع مبني بطريقة متوالية، ففي الأول يعيش المجتمع عيشة البدو مثل: العرب أو البربر وغيرهم، يكونوا في شكل قبائل لا يعرفون القانون ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم، وفي المرحلة الثانية يصل إلى تأسيس دولة بطريق الفتح وقهر المجتمعات الأخرى، أي بإقامة فتوحات وضم قبائل أخرى إلى القبيلة الأقوى، وذلك بتشكيل قانون ويسن لنفسه نظاما، وفي القانون الثالث يتحول إلى حالة

---

[1]-محمد عبد الله عنان، مرجع سابق، ص125

[2]- حسين الساعاتي، علم الاجتماع الخلدوني (قواعد المنهج)، المجلس الأعلى لثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص122

*التغير الاجتماعي: هو كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة.

[3]-مجدي عبد الحافظ، مرجع سابق، ص 121-122

الحضر يتخذ عادات الشعب المغلوب، وهكذا تتشكل الدولة، وانهيارها يكون عن طريق الترف واللهو والمجون.(1)

فمراحل قيام الدولة عند ابن خلدون شبيه بمراحل نمو الكائن الحي، وذلك بمرورها بثلاث مراحل وهي: النشأ والنهوض، ثم مرحلة الازدهار والتألق وتأسيس الدولة وبناء الحضارة، ثم الهرم والشيخوخة أي مرحلة الانهيار.

فالتطور عند ابن خلدون تمثل في الموجودات وذلك بتحول الكائنات الحية بعضها إلى بعض، يقول ابن خلدون في مقدمته من الباب الأول: "أننا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والأحكام بأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض"، أي أن المخلوقات لها صلة ببعضها البعض واستحالة الأنواع تنطبق على الانسان أيضا.(2)

إن ابن خلدون كان ذو نظرة مختلفة في تفسير التطور الذي يحدث داخل المنظومة الكونية و كذلك البشرية، حيث فسر التغير الذي يحدث للكائنات يطرأ نتيجة التغير البيئي كما أنه أرجع هذا التطور إلى عناية الله وشؤون خلقه ، بالإضافة إلى أنه تكلم عن التغير العمراني الذي يتغير في مراحله ويتطور وذلك من مرحلة البدو إلى الحضارة، كما شبه تطور الدولة بمراحل تطور الكائن الحي وذلك انطلاقا من الازدهار وتأسيس الدولة إلى شيخوختها وانهيارها.

لقد حاول كل من الجاحظ وابن خلدون في إعطاء فكرة حول نشوء وارتقاء الأحياء، فلقد قدم الجاحظ من خلال كتابه "الحيوان"، تفسير عن تتطور الكائنات الحية لكنه لم يستعمل كلمة تطور،بل استخدم ألفاظ أخرى تدل على التطور، كما أنه رأى أن للعوامل الطبيعية تأثير، على الكائن الحي وهي التي تعمل على تغيره عبر الزمن، بالإضافة إلى رؤيته للفروق بين الكائنات والانسان، ورأى أن الانسان تغلبت عليه العوامل البيئية وتحول إلى قرد ولم يحصل العكس، فالكائن الحي يتحول من الأرقى إلى الأحط، أما ابن خلدون كانت نظرته للتطور، تتمثل في أن الكائنات الحية ومنها الانسان الذي تفرع من القردة العليا أو من كائن مجهول، وسلسلة تطورالكائنات بدأت بالأول الفروع وهي النبات، وكذلك لاحظ نوع آخر من التطور والذي يحدث في العمران البشري الذي ينتقل من البداوة إلى الحضارة، كما أنه شرح حركة الظواهر الاجتماعية التي تمر بها المجتمعات، لقد ساهم الفكر العربي خاصة وبشكل كبير في مجال العلوم الطبيعيةإلى فتح آفاق للباحثين في العصر الحديث، وإعادة طرح تساءل التغير الذي يطرأ على الكائن الحي وأصل نشوئه.

(1)-طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية(تحليل ونقد)، تر: محمد عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1925، ص83

(2)-علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمان بن خلدون(حياته،آثاره وظاهر عبقرية)، مرجع سابق، ص317

المبحث الثالث: فكرة التطور في العصر الحديث(لامارك)

يتميز القرن التاسع عشر ببزوغ ونضج المعارف البيولوجية في فروع منفصلة ومتصلة، وكذلك بظهور المفاهيم والنظريات والاكتشافات الكبرى، وكان لامارك أول من أطلق اسم علم البيولوجيا، وذلك من خلال بحثه في تطور الكائنات الحية.

جان باتيست لامارك Jean Baptiste Lamarck (1844-1829): عالم نبات فرنسي تحول إلى دراسة الحيوان، يعد من رواد البناء الخلوي، وقد لعب اكتشاف البناء الخلوي في الكائنات الحية دورا هاما في استكمال البيولوجي كعلم وذلك خلال العصر الحديث، من أهم أعماله(**نظام الحيوانات اللافقارية 1801م،فلسفة الحيوان في جزئيين وتاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقارية في سبعة أجزاء 1815-1822).**

انطلق لامارك في صياغته لفرض التطور عبر خطوط فكرية متنوعة، فلقد أقنعته دراساته الجيولوجية، بأن الأرض مرت تدريجيا بكثير من التغيرات عبر أزمنة طويلة، لاسيما في سماتها السطحية، كما أن ملاحظاته للحفريات من جهة أخرى دعمت لديه

القول بأن الحياة الحيوانية بدأت أيضا منذ أزمنة جيولوجية، وتعرضت أيضا إلى تغيرات تدريجية أدى إلى ظهور أنواع جديدة.[1]

كما أن الحياة حسب لامارك بدأت من مياه الأنهار والبحار ونشأت عنها، فقد ظهر على شواطئ البحار أول ما ظهر الحد الفاصل بين المادة الحية والمادة التي لا حياة فيها، وتكونت عندها أول خلية من مادة يصفها بأنها مادة هلامية لا شكل لها، فيها دبت الحياة وتشكلت من هذه الخلية أو المادة، ثم بدأت بالتكاثر والانقسام بعد أن طرأت عليها عدة تطورات خلال آماد طويلة حتى وصلت إلى الأحياء الراقية، ومن مميزات هذا التطور أنه مستمر غير ثابت ودائم الرقي، فهو شبيه بالشجرة الوراثية العملاقة تنمو وتتفرع على نحو دائم.[2]

اعتقد لامارك أن الأعضاء أو الأجزاء المستخدمة بواسطة الكائن الحي، تقوى وأن الأعضاء والأجزاء المهملة تضمر وتختفي تدريجيا في الأجيال القادمة، وربط لامارك بشكل مباشر فكرة استخدام الأعضاء وإهمالها بتأثير البيئة على عادات الكائن الحي، وذلك لما يحدث من تغيرات فيها.[3]

يري لامارك أن البيئة متغيرة، لو أنها لم تكن متغيرة لما خرج إنتاج القوى المكملة للطبيعة عن متوالية خطية من الكائنات العضوية، لكن البيئة متغيرة دائما ومن ثم لابد أن تتوالد أجيال جديدة تخرج في شكلها عن الممر الخطي، ليأخذ شكل نموذج متفرع، تشهد بوجوده الأنواع المختلفة عن النباتات والحيوانات،ويكمن الميكانيزم الذي يتشكل به النموذج المتفرع في مجموعة من العوامل السببية، تؤدي إلى تكيف الكائنات الحية مع البيئة، وذلك انطلاقا من موائع جسدية، تسري في أعضاء الكائنات الحية، وتدفعها إلى التطور بما يحفظ لها البقاء في البيئة المتغيرة.[4]

فالتغير الذي يحدث في الكائنات الحية أثناء تطورها، إنما يحدث بتأثير البيئة الخارجية المحيطة بالكائن، ويتم التغير ضمن الاتجاه الملائم لهذه البيئة رغم حدوثه بصورة بطيئة، وقد أخذ لامارك الفكرة من صديقه **جورجبوفون*(1707-1788)Georges Buffon**الذي سبقه في طرح هذه القضية مؤكدا على أن البيئة تأثر بصورة مباشرة على الحيوانات

(1) - عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، بيروت- لبنان، دط، دت،ص393

(2)- تشارلز داروين، أصل الأنواع، تر: مجدي محمود المليجي، المشروع القومي لترجمة، دب، ط1، 2004، ص38-39

(3)- سهيلة إبراهيم علم الأحياء التطوري(لامارك أم داروين)، مقال إليكتروني https: //egyesmag.com،تاريخ الدخول:2021/12/04، الساعة 13:00

(4)- صلاح محمود عثمان، الداروينية والانسان (نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط1، 2001، ص29- 30

*جورج بوفون: عالم فرنسي في الطبيعة، اشتهر بكتابه الشامل " التاريخ الطبيعي العام والخاص"، كان له أثر بالغ في مفكري وعلماء الطبيعة أمثال لامارك.

وتحت هذا التأثير تنتج أشكال مختلفة وجديدة، وبعد أن أخذ لامارك هذه الفكرة وأكد على أن مثل هذه التغيرات تنتقل عبر الأجيال وتنتقل من نسل إلى آخر.[1]

فالبيئة تتغير باستمرار وهذه التغيرات تتناول التربة ودرجات الحرارة والغذاء، وهي تؤثر على الكائنات الحية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما اعتقد لامارك بأن التغيرات التي تحصل في البيئة تؤدي إلى تغير في العادات ينتج عنه نشوء أعضاء جديدة أو تحرير بعضها، أو اندثارها، كما أن التغيرات التي تحصل في الوظيفة تخلف أعضاء جديدة، وأن كثرة استعمال العضو يؤدي إلى تقويته، ونموه وتطوره وإهماله يؤدي إلى ضعفه وضموره.[2]

لقد حاول لامارك أن يفسر الأنواع، اعتمدا على فكرة تزعم أن بعض الأنواع ظهرت من أنواع أخرى، بفضل ما يسمى بوراثة الصفات المكتسبة، ادعى لامارك أن الزرافة يمكن أن تنشأ من حيوان ثدي في حجم الماعز، نتيجة قيامها على آلاف السنين بمد رقبتها للوصول إلى الأوراق العالية في الأشجار، التي تعيشها الزرافة في الغابات الإفريقية، وذلك لقلة النباتات في الأرض أدى بها إلى مد رقبتها نحو الأشجار.[3]

ومن الأمثلة الأخرى التي ضربها لامارك في تأكيده على مسألة الأثر البيئي، هو الحيتان التي ادعى بأن أصلها قادم من الدببة التي تتغذى على الكائنات المائية، كالأسماك وهي مضطرة إلى النزول بين الحين والآخر، فأصبح شكلها على ما هو عليه الآن، والحيتان حيوانات مائية لا تقوى على العيش في اليابسة، وفي البدء كانت لها أقدام أخذت تضمر بمرور الزمن، لعدم استخدامها فتحولت إلى زوائد عظمية، كما أن الخفافيش والبوم اعتبرهما حيوانات عمياء، لأنها تبقى في ظلام دامس، ويرجع سبب ذلك، إلى عدم استخدامها أعضاء البصر أي العين، فبدأ يضعف بصرها تدريجيا، فأصبحت ضعيفة الرؤيا.[2]

ولكن الظروف البيئية الطارئة، لا تعتبر وحدها مسؤولة عن تغير الأعضاء، بل هناك عوامل أخرى، وفقا لنظرية لامارك، تساهم بدورها في هذه العملية مثل: الباعث أو الحافز الداخلي، وذلك من أجل الدفاع عن نفسه أي امتلاك سلاح، مثال: ثيران البرية التي تريد مقاتلة خصومها، فمع مرور الوقت اكتسبت قرون عظمية نتيجة هذا الصراع، وكذلك الطيور التي تعيش قرب الماء، فمن أجل الحصول على الغذاء قامت بنشر أصابع قدميها، وتحريكها عند السباحة، فمع مرور الوقت والممارسة ورغبتها في الحصول على السمك

---

[1]- عرفان يلماز، التطور نظرية علمية أم ايديولوجيا، دار النيل، القاهرة – مصر، ط1، 2013، ص47- 48

[2]-مرتضى فرح، الداروينية، العتبة العباسية المقدسة، دب، ط1، 2017، ص 12- 13

[3]- صلاح محمود عثمان، الداروينية والانسان، مرجع سابق، ص35

[2]- ناهد البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعارف، الكويت، د ط، 1993، ص 68- 69

ساعد ذلك أيضا بعض الطيور في امتلاك رقبة طويلة، وهكذا فإن التغيرات التي تحدثها العوامل البيئية والبواعث الداخلية(الرغبة، والحافز) في أعضاء الحيوان تتوارث بتعاقب الأجيال، وتزداد فعاليتها من جيل لآخر، لتكتسب أشكالا جديدة في الحيوان.[1]

لقد حاول لامارك دراسة وفهم صلة القرابة بين الحيوانات، ومن خلال هذه الدراسة تأسس علم الأنساب، وكان ذلك بمثابة الفتح الجديد في هذا المجال، يعد لامارك أول من وصف عملية التطور بالشجرة الوراثية العملاقة، والتطور لديه، تمثل في الصفات التي تكتسبها الكائنات عبر الأزمنة الطويلة، من خلال عوامل عدة من بينها الأثر البيئي الذي يطرأ على الكائن، وما يصيبه في أحد أعضاءه من خلال التعود على التخلي عن عضو معين لا دور له في البيئة، بالإضافة إلى عامل الحافز أو الرغبة الداخلية للكائن، وذلك من أجل الاستمرار، ونلاحظ أن لامارك وضع أسس نظريته التطورية من خلال فكرة الصفات المكتسبة، حيث أكد على أن الكائنات الحية تتطور عبر العصور وتورث صفاتها المكتسبة للأجيال التي تليها، كما أن نظريته ساهمت في فتح آفاق للبحث عن سبب تطور الكائن الحي، بالإضافة إلى فتح رؤيا جديدة في علم البيولوجيا.

---

[1]- يوري يمتريف، الانسان والحيوان عبر التاريخ(ومن الأسطورة والتقديس إلى الواقع المعاش)، تر: محمد سليمان عبود، دار النمير، دمشق، ط1، 1993،ص98- 99

نستخلص مما سبق، أن فكرة التطور لم تكن ذات طابع حديث كما هو معروف، لقد كان البحث في تطور الكائنات الحية وباقي الموجودات، موضوع بحث منذ القديم وذلك بداية من مفكري اليونان، أو ما يطلق عليهم فلاسفة الطبيعة، حيث كانوا أول من بحث في الطبيعة وأصل الأنواع وتغيرها عبر العصور.

بالإضافة إلى أن مفكري العرب كانوا من بين من طرح فكرة التطور، وما ساعدهم على ذلك عامل الترجمة، الذي تم فيه نقل الكثير من المعارف والفلسفات اليونانية القديمة إلى الحضارة الإسلامية، انتقلت معه مثل هذه المفاهيم إلى بعض العلماء والمفكرين المسلمين، فمنهم من تحدث عنها بتوسع وشرح، ومنهم من أشار إليها إشارات موجزة، فمن بينهم(الجاحظ وابن خلدون) اللذان تحدثا عن تطور الكائنات وتأثرها بالبيئة.

وكان لفكرة التطور في العصر الحديث، الذي كان عصر العلم بامتياز، وما ساعد في ظهور علم البيولوجيا على يد لامارك، الذي تحدث عن التنوع البيئي وتطورالكائنات الحية، والذي قال أن البيئة لها أثر على التطور العضوي للكائنات الحية، و ما أكسبها أعضاء جديدة غيرة من شكلها وظهور أجيال جديدة تختلف تماما عن الأجيال الأولى.

الفصل الثاني

نظرية التطور عند تشارلز داروين

تعد فكرة التطور من أهم وأخطر الأفكار التي أفرزها العقل الإنساني عبر سنوات طوال من تأمله لظواهر الكون، وهي احدى تلك الأفكار الكبار التي أدت دورا كبيرا في توجيه السلوك الإنساني وتحديد ماهيته،لاسيما منذ منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.

يعرف التطور بصفة عامة على أنه نمو بطيء ومتدرج يؤدي إلى تحولات منظمة ومتلاحقة تمر بمراحل مختلفة ويؤذن سابقا بلاحقها، كتطور "الأفكار والأخلاق، والعادات..،فالتطور كان يشغل حيز تفكير العديد من العلماء خاصة علماء البيولوجيا الذين حاولوا البحث عن التغيرات التي تحدث للكائنات الحية، وكان ومن أهم الباحثين في أصل تطور الكائنات الحية تشارلز داروين.

المبحث الأول: فكرة الصراع من أجل البقاء

تشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin: عالمتاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في انجلترا في **12 فبراير1809** في شرو سبوري وتوفي في **19 أبريل1882**، واكتسب داروين شهرته كمؤسس لنظرية التطور والتي تنص على أن كل الكائنات الحية على مر الزمان تنحدر من أسلاف مشتركة، وقام باقتراح نظرية تتضمن أن الأنماط المتفرعة من عملية التطور ناتجة لعملية وصفها**بالانتقاء(الانتخاب)الطبيعي***، وكذلك الصراع من أجل البقاء

*ويتمثل في أن ثمة انتخابا واختيار من قب الطبيعة للأنواع الصالحة(أنظر إلى المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص98)

له نفس تأثير الاختيار الصناعي المساهم في التكاثر الانتقائي للكائنات الحية، ومن خلال ملاحظاته للأحياء قام داروين بدراسة التحول في الكائنات الحية عن طريق الطفرات وطور نظريته الشهيرة في الانتخاب الطبيعي عام **1838م**.[1]

ويعد داروين من أشهر علماء الأحياء، ألف عدة كتب في ما يخص هذا المجال، وفي عام **1859م** قام داروين بنشر نظرية التطور مع أدلة دامغة في كتاب "أصل الأنواع" متغلبا بذلك على الرفض الذي واجهه من المجتمع العلمي والمجتمع عامة على نظرية تحول المخلوقات،وفي **1870** تقبل المجتمع نظرية التطور كحقيقة، ومع ذلك بقي الكثير يفضلون التفسيرات الأخرى، ولقد قاده اهتمامه المبكر إلى إهمال تعليمه في الطب في جامعة أدنبرة، فبدلا من دراسة الطب قام بالمساعدة بالدراسات التي تجريها جامعة كامبريج بالتحقيق عن اللافقاريات البحرية، واشتهر داروين برحلته على متن سفينة بيجل من أجل البحث عن حقيقة التنوع البيئي، ولقد جمع من خلال الرحلة ملحوظات ومعلومات كانت أساس نظريته.

وفي عام **1838م** بدأ داروين بتحقيقات دقيقة رسخت نظريته في الانتقاءالطبيعي، وعندما كان يكتب نظريته قام العالم **ألفريد راسيل والس(1913- 1823) Alfred RusselWallace*** بإرسال مقالا إليه شارحا به نفس الفكرة مما دفعهم لنشر منشور مشترك يضم كلا النظريتين، ودرس كذلك الإنسان والانتقاء الجنسي في كتاب"علاقة أصل الإنسان والاختيار بالجنس".[2]

ولقد توصل داروين أن الحياة على سطح الأرض عبارة عن عملية خلق مستمرة بدأت مع نشوء أول خلية حية، ففي القرون الماضية كان الاعتقاد السائد هو أن كل نوع من الأنواع الحية قد خلق مستقلا، وأن خلق الإنسان كان النهاية التي توجت أعمال الخلق وينبني على هذا أن الأنواع ثابتة لا تتغير ولا تتطور، ولكن داروين في سنة**1859م** أظهر خطأ في العقيدة، وأن الأنواع المختلفة، نباتا كان أم حيوانا ومعهما الإنسان، إنما نشأت تدريجا عن طريق الاحتفاظ بمختلف التحولات التي تنشأ في أفراد كل منها، أما هذا التحول فقد استغرق أحقابا طويلة وذلك وفقا لما يقتضيه تأثير سنن طبيعية دائمة والتأثير في طبائع الأحياء.[3]

ولقد كانت هناك ثلاث عوامل ساقت داروين لطرح نظريته، الأول وهو قيام القس الإنجليزي مالتوس بنشر رسالته حول السكان عام **1798م** حيث قال أن سكان العالم يتضاعفون كل 25عام أي يتزايدون في شكل متتالية هندسية، حيث أن تزايد عدد سكان على سطح الأرض لا يوافق تزايد الطعام في الطبيعة، وذلك لقلة الأراضي الصالحة لزراعة، واتخذ داروين هذه

---

[1]- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص 475

* عالم طبيعة بريطاني ومستكشف جغرافي وعالم أنثروبولوجيا وأحياء، أشتهر بنظرية التطور من خلال الانتقاء الطبيعي، وكان أحد المفكرين التطوريين الرائدين في القرن 19.

[2]- ماجد كاظم الشبلي، نظرية داروين في النشوء والارتقاء، مقال إلكتروني: https://www.researchgate.net، تاريخ الدخول: 2022/01/14، الساعة: 12:52

[3]- تشارلز داروين، أصل الأنواع، تر: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص29.

النظرية في ما بعد سبب في الانتخاب الطبيعي، أما العامل الثاني كان كتاب ألفرد راسل الذي يدور حول قانون ينظم ظهور الأنواع الجديدة، حيث أشار في رسالته هذه إلى وجود صراع بين الأحياء في الطبيعة واستند عليها داروين في طرح فكرة الصراع من أجل البقاء، أما العامل الثالث الذي أثر في داروين كان بعض العلماء السابقين الذين تناولوا هذا الموضوع وذكروا حوله آراءهم.[1]

عرض داروين نظريته في تطور الكائنات الحية في كتابه "أصل الأنواع"، حيث أكد على أن الكائنات الحية ليست ثابتة وإنما تنحدر الأنواع التي نعتبرها من نفس الجنس من سلالة أنواع أخرى، ولقد بنداروين أيضا نظريته بتأثره بالعالم البيولوجي "لامارك" الذي طرح فكرة أن الكائنات تتطور بفعل صفات تكتسبها الأجيال الأولى وتورثها للسلالات التي تليها، ويختلف داروين عن لامارك في الأسباب التي تغير الأنواع الحية، فهو يرى أن التنوعات البسيطة التي تظهر في أفراد النوع الواحد تساعدهم على التكيف مع البيئة وبالتالي البقاء.[2]

ولقد قدم داروين مثال الزرافة أيضا ولكنه فسره تفسير مختلف عن لامارك، إذ بين أن أسلاف الزرافة كان منها طويل الرقبة وقصير الرقبة ثم تنازعت فيما بينها على البقاء واستطاعت الأنواع الطويلة أن تصل إلى أوراق الأشجاروتأكلها فنتقتها الطبيعة وانتخبتها لتعيش بينما هلكت الأخرى جوعا، وهكذا تكاثرت الأنواع طويلة الرقبة وورثت هذه الصفات للأجيال التالية.[3]

فمن خلال هذا يطرح داروين فكرة الصراع من أجل البقاء، فالأنواع المختلفة في الصفات كانت موجود، والسبب الذي جعل نوع يبرز على نوع في نظره هو الصراع على الغذاء، الذي جعل الكائنات الحية تتقاتل من أجل الاستمرار والحصول على ما يكفيها من غذاء، فالنوع الذي يحمل قدرات ذات كفاء عالية تكون له الأفضلية في البقاء.

ولقد استعار داروين فكرة الصراع من أجل البقاء من نظرية مالتوس لتفسيرالثبات النسبي لعدد كل نوع من أنواع الكائنات الحية، إذ لما كانت كمية الطعام وأماكن المأوى والتكاثر المحدود، وأيضا التغيرات البيئية كانتشار الأمراض وتقلبات المناخ وغيرها، فلا بد وأن ينشأ تنافس على نفس احتياجات الحياة، كما أنه لا يأخذ دائما شكل معركة يمكن مشاهدتها بين نوعين أوبين فردين من نفس النوع، بل هو عملية مستمرة في الطبيعة تتضمن عدة عوامل، كل منها يؤدي إلى هلاك بعض الأفراد هذا فضلا أن الصراع يحدث في أي طور من أطوار الكائن الحي، فمن طور البيضة التي تفشل في عملية الاخصاب وكذا مراحل تكوين الجنين وأثناء

[1]- محمد فتح الله كولن: حقيقة الخلق ونظرية التطور، تر: أورخان محمد علي، دار النيل، تركيا، ط1، 2004،ص 27- 29
[2]- ناهد البقصمي، الهندسة الوراثية والأخلاق، مرجع سابق، ص53
[3]- مرتضى فرج، الداروينية، مرجع سابق، ص15

الأطوار اليرقية أو الطور اليافع، ويعتبر الفرد ناجحا في الصراع إذ ظل على قيد الحياة حتى تحدث عملية التكاثر ولو لمرة واحدة.[1]

وقال داروين:" إني أستعمل عبارة تنازع البقاء لمعنى مجازي أي مجال واسع يدخل فيه توقف حياة فرد على آخر وأيضا تمكين الفرد من أن يخلق نسلا"، فليس تنازع البقاء كفاحا في القوى فهو ليس تنازع فردين فقط بل هو أيضا جملة كفايات أخرى كثيرا ما تكون غامضة وضئيلة القيمة ولكنها تظهر الحاصل عليها على خصمه، وقد لا يكون خصمه فردا مثله بل قد يكون هذا الخصم حرا شديدا أو جفاف وقد يكون بين حيوانين أو نباتين حياته متوقفة على أحدهما بحيث يبلغه صدى المعركة وينفعه أو يضره، وتنازع البقاء قانون شامل وعامل يومي يحدث للكائنات الحية وذلك الذي يجعلالكائن يرتقي عن غيره، لأن الكائن الحي كلما صعد في سلم التطور يتميز عن غيره من الكائنات الحية.[2]

ويتم الفوز للفرد الذي تؤهله صفاته للغلبة والبقاء، وهذه الصفات كثيرة ومختلفة بالنسبة للحيوانات والنباتات، فقد تكون الصفة المؤهلة أيضا صفة القوة أو الشجاعة أو كبر الحبة أو صغرها أو السرعة، أو الجمال و الذكاء، الحيلة في تدبير القوت ودفع الخصم، أو الصبر على العطش والجوع أو قوة احتمال الجسد، وغيرها من الصفات فإذا تم الفوز للأفراد الذين لهم شيء منها وانخذل الأفراد الذين ليس لهم ما يؤهلهم للغلبة، كتب البقاء للصالحين وحق الفناء على غير الصالحين.[3]

كما أن داروين بين الصراع من أجل الحياة سيكون أقسى دائما على أفراد النوع الواحد، الذين يشغلون المكان والموقع نفسه ويطلبون الغذاء نفسه ويتعرضون للأخطار نفسها، كما سيكون التنافس المتبادل أكثر صرامة بين أنواع الجنس الواحد وبين أنواع الأجناس المختلفة، فطبقا لنظرة داروين يستطيع الصراع من أجل البقاء ضمن الأنواع وبين الأنواع تفسير التغيرات التي تحدث للكائن الحي في الطبيعة.[4]

فتنافس ليس مقتصر على الحيوان فقط فالنبات أيضا يتنازع على المكان المناسب له لكي ينمو، فالأفراد يتنازعون من أجل الحصول على الطعام لازم أو على مكان للعيش ومادام كل فرد يولد مختلفا عن الآخر في الحيوان والنبات فإن هذا الاختلاف يولد أجيال جديدة سلالات وذلك من خلال تراكم التغيرات على الأفراد النوع الأول.[5]

---

(1) - صلاح محمود عثمان، الداروينية والإنسان(نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، مرجع سابق، ص 39- 40

(2) - موسى سلامة، نظرية التطور وأصل الإنسان، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2012، ص 81- 84

(3)- مرتضى فرج، الداروينية، مرجع سابق، ص 16- 17

(4)- دينيس بيكان، البيولوجيا(تاريخ وفلسفة)، تر: لبنى الريدي و مها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2017، ص53

(5)- تشارلز داروين، أصل الأنواع، مصدر سابق، ص 182

وهناك نوع آخر من الصراع لكن لا يكون فيه فناء للكائن الحي، ويتعلق بالانتقاء الجنسي الذي خص له داروين جزء في كتابه "أصل الأنواع"،ولا يعتمد ذلك على الصراع من أجل البقاء بل صراع بين الذكور لامتلاك الإناث والنتيجة ليس موت المنافس الذي فشل، بل قلة وعدم انتاج ذرية، ولذلك فإن الانتقاء الجنسي يكون أقل شدة من الانتقاء الطبيعي، وعموما فإن الذكور الأقوى هم الأفضل المناسبين لمكانهمفي الطبيعة وسيتركون أغلب الذرية، ولكن في حالات كثيرة لن يعتمد الفوز على النشاط العام بل على امتلاك أسلحة خاصة مرتبطة بجنس الذكور."[1]

فهذا النوع من الصراع يختلف من حيوان إلى آخر، وذلك في استخدام سلاح القتال، فمثلا الطيور تختلف في سلوكها عن باقي الحيوانات وذلك باستخدامها لصوتها أثناء التزاوج أو لون ريشها وغير ذلك، فالكائن الحي يرث ميزات كثيرة عبر أجيال متعاقبة كالأسلحة وطرق دفاعها ومفاتنها، وفي الأغلب ترث الذكور هذ الصفات.

كما أن هذا الصراع تكون نهايته الخسارة فقط وليس سبب في فناء النوع ككل، وقد يكون التغير الذي وقع للأرض أو ما أسماها داروين "بالتغيرات الجيولوجية"التي حدثت في مواطن الطبيعية للكائنات الحية، فنحن إذا نظرنا الى الكائنات في مختلف القارات نجد تشابه أو تقارب في بعض الأنواع، فهذا التحول الذي وقع للبيئة يخلق تغير جسماني في شكل الكائن الحي وتصبح هذه التغيرات سمة من سمات البينة للكائنات الحية.[2]

وقد يكون التغير الذي يطرأ على النوع تحسين في فرصة الفرد في البقاء على قيد الحياة، و الاستمرار في التكاثر حي حيث يبقى الكائن القوي السليم الذي يورث صفاته المتميزة لذريته، وتتجمع الصفات مع مرور الزمن مكونة في صفة جديدة في الكائن الحي التي تجعله يرتقي بتلك الصفات الناشئة إلى أعلى و هكذا.[3]

إن الصراع من أجل البقاء بالنسبة لداروين، تمثل في صراع بين أفراد النوع الواحد وكذلك بين أنواع أخرى سواء كان الفرد نبات أوحيوان، حيث يعود شكل الصراع في مجمله إلى عدة عوامل منها عوامل بيئية تمثلت في تغير المناخ، وذلك ما يحمله من حر شيد أوجفاف بالإضافة إلى اشتراك الأفراد في مكان العيش نفسه وطعام، حيث يسبب هذا العامل نزاع شديد بين الكائنات الحية، ويكون التنازع أقوى بالنسبة الأفراد النوع الواحد، وتنجح الكائنات التي تمتلك صفات تأهلها للعيش والاستمرار في الطبيعة، وكذلك تتحمل كل التغيرات التي تطرأ عليها، فالصفات التي تحملها الأجيال الأولى والتي قد ساعدتها عدة مرات في مقاومة التغيرات والعوامل البيئية، تورثها فيما بعد للأجيال التي تليها.

---

[1]- مايكل ريوس، داروين، تر: فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، ص 88
[2]- المرجع نفسه، ص 90- 95
[3]- تشارلز داروين، أصل الأنواع، مصدر سابق، ص 185

فداروين لم يفترض مثل لامارك عن صفات تكتسبها الكائنات من خلال عدة عوامل، فهو عكسه تماما، حيث قال أن الكائنات تختلف في صفاتها بين أفرد جنسها والتي لها صفات تأهلها من أجل الحصول على الطعام والمناخ المتغير وغير ذلك، تستمر في البقاء وتورث هي بدورها هذه الصفة للأجيال التي تليها، كما أن داروين طرح نوع آخر من صراع وهو الصراع الجنسي والذي يحدث بين الذكور، وهذا النوع من الصراع لا يحمل في طياته الفناء، بل يبرز الذكر القوي في نوع الواحد.

المبحث الثاني: فكرة البقاء للأصلح

ففي وسط الصراع الذي لا ينقطع يجد بعض الأفراد أن الظروف المحيطة بهم تتلاءم مع قدراتهمالطبيعية وتساعدهم على الاستمرار والبقاء بينما تعاكس الظروف أفراد آخرين، والأمر في النهاية يرجع بالطبع إلى التنوعات أوالفروق الفردية التي توجد داخل كل نوع، إذ أن الكائنات الحية مختلفة حتى أفراد النوع الواحد تختلف ضعفا وقوة وطولا وشكلا، بعضها أسرع أو أقوى وأذكى، له مخالب أو أنياب أشد حدة أو ألوانا أفضل تحميه، أو أية صفة جسمية أخرى تفيد في بقاء الكائن الحي، ومن هنا استنتج داروين أن بعض الأفراد أو السلالات تنجح أو تتفوق على غيرها في الصراع من أجل البقاء، وهو ما عبر عنه ببقاء الأصلح.

فالبقاء للأصلح عبارة نشأت من نظرية التطور لداروين كطريقة لوصف آلية الانتقاء الطبيعي، وأول من استخدم هذا المصطلحهو**هربرت سبنسر(1820- 1903)*Hebert Spencer**عام **1852** في مقال له بعنوان "نظرية للسكان مستنبطة من القانون العام للخصوبة الحيوانية"،

*فيلسوف انجليزي واحد من بين مؤسسي علم الاجتماع، صاحب مصطلح "البقاء للأصلح" حيث أعطى له أبعاد اجتماعية، من أشهر مؤلفاته "رجل ضد الدولة"

واستجاب داروين لاقتراح ألفريد راسيل باستخدام عبارة سبنسر الجديدة "البقاء للأصلح" كبديل للانتقاء الطبيعي ويذكر أن داروين استخدم هذا التعبير إلا بداية الطبعة الخامسة لكتابه أصل الأنواع.[1]

وقال داروين في كتابه أصل الأنواع: "إذا كانت الكائناتالحية تختلف على الإطلاق في الأجزاء العديدة من أجسامها خلال فترة طويلة من العصور وتحت ظروف مختلفة من الحياةثم بالنظر إلىالتعقيد اللامتناهي لعلاقات الكائنات العضوية مع بعضها البعض وبظروف وجودهم، مما يتسبب في تنوع لا حصر له، ليكون مفيدا لهم ولكن إذا حدثت اختلافات مفيدة لأي كائن حي، فمن المؤكد أن الأفراد المتميزين بهذه الطريقة لديهم أفضل فرصة للحفاظ على حياتهم، ومن مبدأ الوراثة سوف تكون لهم ذرية ذات خصائص مماثلة، لقد دعوت مبدأ الحفظ هذا بالانتخاب الطبيعي."[2]

لقد رأى داروين أن التنوع والاختلاف بين الأجيال الأولى والتي تبعتها، ذو فائدة بالنسبة للأجيال القادمة حيث أن الطفرات التي تحدث للكائن الحي تساعده في الاستمرار والبقاء، كما يقع عليه اختيار الطبيعة التي تحمل في طياتها تغيرات عديدة تحمل داخلها فناء النوع الغير قادر على الاستمرار، فالصفات ذات فائد والتي تحملها كائنات قد ورثتها هي بدورها من أسلافها تساعدها وبشكل كبير في الحفاظ على حياتها وتنتخبها الطبيعة لتكون الأصلح في العيش.

لقد فكر داروين في الانتخاب الطبيعي عن طريق القياس على كيفية اختيار المزارعين للمحاصيل أو الثروة الحيوانية للتربية، وهو ما أسماه الانتخاب الصناعي في مخطوطاته حيث أشار إلى الطبيعة التي ستقوم بالاختيار، وكان داروين يعتقد أن الانتخاب كان على الأرجح جزءا فقط من عملية التطور حيث قال: " أنا مقتنع بأن الانتخاب الطبيعي كان الوسيلة الرئيسية ولكن ليست الحصرية للتعديل".[3]

وفي عملية الانتقاء الطبيعي تقوم الطبيعة بدرور المربي للكائنات الحية، والذي ينتقي منها ويستقي أفضلها وأصلحها، إذ يؤدي الصراع بين الأفراد إلى بقاء تلك التي تتمتع بالاختلاف أو صفات مفيدة، تمكنها من التكيف مع البيئة أكثر من غيرها، أما تلك التي تنقصها الصفات الملائمة للحياة فتخرج عن سباق البقاء وتتعرض للهلاك،[4] أما الكائن الذي يرث تغيرا مفيدا تكون له فرصة أفضل لحياة أطول تكون كافية لأن ينقل مميزاته المفيدةإلى الجيل التالي.[5]

---

[1]- موقع إليكتروني:.https://stringlixen.com، تاريخ الدخول: 2021/12/23،الساعة 14:05.
[2]- تشارلز داروين، أصل الأنواع، مصدر سابق، ص 203
[3]- المصدر نفسه، ص 423
[4]-صلاح محمود عثمان: الداروينية والإنسان(نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، مرجع سابق، ص 37
[5]- جوناثان ميلر، أقدم لك داروين والتطور، تر: ممدوح عبد المنعم محمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2005، ص 188

كما أن بقاء الأصلح يعود في جذور إلى التباينات (الصفات المميزة) بين الأفراد، فالأجسام الحية ميالة للتباين أو التمايز ببعض صفاتها عن الأصل الذي نشأت منه، ولذلك لا يتم التشابه كلي بين الآباء والأبناء، ولا بين الأصول والفروع.[1]

بالإضافة إلى أن داروين افتتح في كتابه أصل الأنواع أن التغيرات تحدث استجابة بظروف الحياة،بمعنى الضغوط الخارجية مثل قسوة المناخ أو نقص الطعام، أو اضطراب بالموطن البيئي، مما يؤدي بطريقة ما إلى عدم استقرار نظام التكاثر.

حيث ذكر داروين بأن جهلنا بقوانين التغاير جهل عميق، فنحن لا نستطيع ولا في حالة واحدة من كل مائة حالة أن نزعم معرفة سبب وراء اختلاف هذا الجزء أو ذاك الجزء نفسه في الوالدين، فحتى هو في بداية تفسيره لهذا لاختلاف أو التغاير رآها أنها تحدث بالصدفة، ثم ذكر في موضع آخر من كتابه أن القول بأنها بالصدفة قول خاطئ.[2]

لقد قدم داروين تفسير آخر حول الاختلاف الذي يقع بين الآباء والأبناء، ففي البداية يولد عدد كبير من الأفراد أكثر من يمكنه البقاء على قيد الحياة، وهي تختلف عن الآباء اختلافا طفيفا، وهذا هو مبدأ الوراثة أو قانون الوراثة، فبين الذرية سوف يولد بعض الأفراد وهم يمتلكون تغايرات مواتية، والبعض الآخر تغايرات ضارة لا يمكن لأي بيئة معينة أن تدعم سوى عدد محدود من الأفراد ذات نوع معين، وهذا له تأثير ينتج عنه استمرار الصراع من أجل البقاء، وفي أي بيئة الأفراد ذوو الأفضلية الطفيفة مقارنة بالآخرين لهم فرصة أفضل للبقاء والمشاركة في إنجاب نوعهم، ويكون الأفراد ذوو التغيرات الأقل ضرر أكثر احتمالا للموت.[3]

ومادام كل فرد يولد مختلفا عن الآخر في الحيوان والنبات، فإن هذا الاختلاف ينطوي بلا شك على ميزة أو عجز، فهو يساعد في الحالة الأولى على بقاء والانتصار في معركة الحياة وهو يهيئ الهزيمة في الحالة الثانية، ولا نعرف الأسباب لهذا الاختلاف ولكننا نشاهده ونسلم به، ولذلك لابد وأن يستمر التغيير جيلا بعد جيل، فإذا تراكمت التغيرات أحدثت سلالات جديدة وإذا زاد الاختلاف بين السلالات ظهرت الأنواع الجديدة.[4]

وقد تعمل بعض الاختلافات على تحسين فرص الفرد في البقاء على قيد الحياة والتكاثر بحيث يزداد معدل الإنجاب طوال حياته، مما يعني أنه يترك المزيد من النسل، وإذا كانت الصفات التي تمنح هؤلاء الأفراد ميزة تكاثرية هي أيضا موروثة، أي تنتقل من الأب إلى النسل،فسيكون هناك تكاثر تفاضلي، أي نسبة أعلى قليلا في الأجيال التالية، فحتى لو كانت

---

[1]- مرتضى فرج، الداروينية، مرجع سابق ص 17

[2]- دافيد كوامن، داروين مترددا(نظرة مقربة لتشارلز داروين وكيف وضع نظريته عن التطور)، تر: مصطفى إبراهيم فهمي، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، د ط، 2012، ص167

[3]- فريدل فانيرت، كوبر نيكوس وداروين وفرويد (ثورات في تاريخ الفلسفة والعلم)، تر: أحمد شكل، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،ط1، 2017، 171 -173

[4] - موسى سلامة، هؤلاء علموني، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ط1، 2012، ص 35- 37

الميزة الانجابية ضئيلة للغاية، فإن أي سمة وراثية مفيدة تصبح سائدة على مدى عدة أجيالوبهذه الطريقة تختار البيئة الطبيعية للكائن السمات التي تمنح ميزة تكاثرية، مما يتسبب في حدوث تغير تطوري، كما وصفه داروين.

فالصفات النافعة بدورها تنتقل من فروع إلى فروع وبعد مرور الآلاف الأجيال يصل امتياز الأفراد إلى حد يجعل الفرد الممتاز نوعا جديدا بعيد الصلة بينه وبين أصله، وينشأ نوع مختلفا عن الفروع الأولى، فحتى التشابه الذي يخيل إلينا أن أجزاء بين الفروع والأصول تامة التشابه هي في الحقيقة متباينة، فلا نجد مثلا ورقة تشبه البقية في النباتات، فهذه الأجزاء الخفية من الصفات مع مرور الوقت تكون نوع مختلفا أو فرعا جديد يحمل مورثات تزيد في فرصته للبقاء ونجاح في ترك صفات قادرة على إنتاج نسل جديد تأهله على أن يكون المنتخب من الطبيعة والأصلح في العيش، بالرغم من أن الصفات المفيدة قد تكون صغيرة في الأصول لكن تراكمها من فروع الى فروع أو منجيل الى جيل تزداد امتيازا ولها تأثير على حياة الكائن الحي.[1]

إذن البقاء للأصلح الذي بموجبه سيحدث فناء الضروب الضعيفة والإبقاء على الضروب القوية لنوع الكائن الحي، يكون انطلاقا من الاقتصاد في الموارد المادية الخارجية الكفيلة بإدامة الحياة واقتصار هذه الموارد على النماذج القوية للكائن الحي القادر على الاستمرار في الحياة،بالإضافة إلى تلك الميزات التي تحملها الأفراد عبر أجيال وتجعل منها الفرد الأصلح في الطبيعة.[2]

إن الانتخاب الطبيعي في مجمله يتمثل في ذلك الاختيار الذي يقع على النوع المميز، ويكون هذا الاختيار ذا عوامل يحدد من يكون له الصلاحية في البقاء والاستمرار، فالطبيعة هي العامل الأول الذي يحدد من سيبقى عليها وذلك لوفرة الغذاء، فالفرد الذي يستطيع الحصول على غذائه تكون له الأفضلية في الطبيعة، بالإضافة إلى عامل المناخ وقسوة الطبيعة فالكائن الذي تحمل الحر والبرد وغيرها من التغيرات البيئية التي تطرأ فجأة، تكون الأفضلية للذي يحمل في داخليه تغيرات وراثية تجعله يتحمل كل هذه التغيرات ويصبح بذلك الفرد الأصلح والأقدر على الاستمرار.

فبعد نشر داروين لكتابه أصل الأنواع تقبل بعض المفكرين أن التطور حدث بشكل ما، ومع ذلك ظل الانتخاب الطبيعي مثيرا للجدل كآلية، ويرجع ذلك جزئيا إلى أنه كان ينظر إليه على أنه أضعف من يفسر نطاق الخصائص المرصودة للكائنات الحية، وجزئيا لأن حتى أنصار التطور رفضوا طبيعته الغير الموجهة والغير التقدمية، ومع ذلك فقد تبنى بعض

(1)- حسين محرم الحوني، الداروينية والبراغماتية والفروريدية(قراءة إسلامية لأهم قضاياها وأبرز مباحثها)، دار الحوني، دب، ط1، 1999، ص8- 10

(2) - موسى حسين، ذكاء المادة الحية في مسيرة فلسفة الحياة، مجلة لاك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية،ج2، العدد32،بغداد، 2019/01/1، ص 325

المفكرين بحماس فكرة الانتخاب الطبيعي بعد قراءة داروين، وأصبح لهذه الفكرة صدى كبير في القرن العشرين وتطورت مع قوانين مندل للوراثة.

المبحث الثالث: الداروينية كمذهب فلسفي

لم تكن فكرة التطور جديدة عندما أصدر داروين كتابه أصل الأنواع، فقد تحدث "هربرت، شلنج وهيجل" من قبله عن فرض الاتقاء وكتب هربرت سبنسر عام **1852م** مقارنات بين أسلوب التفكير الساكن وأسلوب التفكير الدينامي، وذلك مدافعا عن فلسفة التطور، كما قدم بوفون ولا مارك اكتشافات مهمة حول التطور العضوي، ولكن المؤكد أن داروين هو من أعطى للفكرة تلك الدفعة التي حددت معالمها النهائية، فبعد عام 1859م لم يعد الأمر يقتصر على حضور فكرة التطور في علم البيولوجيا، بل تغلغلت في الفكر الأوروبي كله حتى أصبح من غير الممكن تناول أي سؤال من الأسئلة الوجودية الكبرى بغير الإشارة اليها.

ورغم أن الصراع بين العلم واللاهوت كان بدأ فعليا مع عالمي الفيزياء "برونو ثم جاليليو"، فإن نظرية التطور الداروينية فتحت جبهات جديدة لهذا الصراع، خصوصا بعد صدور كتاب داروين تسلسل الإنسان عام **1871م**، والذي انتهى فيه إلى أن القوانين التي تحكم تطور الإنسان والحيوان تكمن في فارق الدرجة لا النوع، وفيما بعد داروين تحولت نظرية التطور إلى نزعة فلسفية طرحت نفسها في ميادين الفكر الإنساني(الاجتماعي، التاريخي، السياسي، الأخلاقي والفلسفي).[1]

ففي الجانب الاجتماعي تجلت نظرية داروين في "الداروينية الاجتماعية"، وهي فلسفة علمانية شاملة واحدية عقلانية مادية كمونية، تنكر أية مرجعية غير مادية، وتستبعد الخالق من المنظومة المعرفية والأخلاقية، وترد العالم بأسره إلى مبدأ مادي واحد كامن في المادة وتدور في نطاق الصورة المجازية العضوية والآلية للكون والآلية الكبرى للحركة وهي الصراع والتقدم اللانهائي وهو صفة من صفات الوجود الإنساني ولقد حققت الداروينية الاجتماعية ذيوعا في أواخر القرن التاسع عشر، ويمكن القول بأن الداروينية هي النموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية الشاملة.[2]

ويرى دعاة الداروينية الاجتماعية أن القوى التي تسري على عالم الطبيعة والغاية هي ذاتها التي تسري على الظواهر الانسانية، التاريخية والاجتماعية، وهم يذهبون في ذلك إلى أن داروين قد وصف هذه القوانين في كتابه "أصل الأنواع" من خلال الانتخاب الطبيعي، وبقاء الأجناس الملائمة في عملية الصراع من اجل البقاء، وقد ذهب داروين الى القول بأن الكون

(1) -موقع إليكتروني: https://www.shorouknews.com،تاريخ الدخول: 2021/12/25، الساعة 12:50
(2)- عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط2،2007، ص 97

سلسلة متواصلة في حالة حركة من أسفل إلى أعلى، وأن الانسان ما هو الا احدى الحلقات، وقد يكون أرقاها ولكنه ليس آخرها.[1]

وتنطلق الداروينية الاجتماعية في نظرتها الوجودية للعالم من اعتبار العالم طبيعة، والطبيعة محايدة لا تعرف الخير أو الشر، القبح أو الجمال، ولاتوجد أي ثنائيات في الكون، إذ يرد كل شيء إلى المادة ويفسر كل شيء بالتطور المادي، فالرؤية الداروينية أسست لفكرة الصراع الأبدي، إذ من خلالها تم نقل الصراع الحاصل في الطبيعة ومحاولة إسقاطه على عالم الانسان من منطلق أن العلاقات بين الكائنات الحية في الطبيعة القائمة على الصراع لايختلف عن العلاقات بين الأفراد داخل المجتمعات الانسانية، بذلك يصير العالم الانساني إلى حركة دائمة، والى حلبة صراع تطورية يكون فيها البقاء للأصلح وللقادر على البقاء.[2]

ولقد وظفت الداروينية الاجتماعية في تبرير التفاوت بين الطبقات داخل المجتمع الواحدوفي الدفاع عن حق الدولة العلمانية المطلقة، وفي تبرير المشروع الامبريالي الغربي وعلى صعيد العالم بأسره، فالفقراء في المجتمعات الغربية وشعوب آسيا وإفريقيا، هم الذين أثبتوا أن مقدرتهم على البقاء ليست مرتفعة ولذا يستحقون الفناء أو على الأقل الخضوع للأثرياء ولشعوب أوروبا الأقوى والأصلح.

ولقد وجد كارل ماركس**Karl Marx(1818-3188)** أيضا في نظرية التطور العضوي للكائنات الحية، فكرة صراع الطبقات والتي اعتبرها محور التطور التاريخي للبشر ورآها بمنظور داروين تعبيرا اجتماعيا للتنافس البيولوجي يفضي حتما إلى الثورة.

فالسيد والعبد، والشريف ورجل العامة، البارون والتابع، وبصفة عامة المضطهدون في نضال مستمر فيما بينهم، وفي صراع عنيف ينتهي كل مرة إما بقلب نظام المجتمع بأسره وإما بتحطيم جميع الطبقات المناضلة، وتؤذن دكتاتورية البروليتاريا(الطبقة الكادحة) وهي بقرب هيمنة مجموعة جديدة تكون نقطة نشوء، فمثلما خلفت النبتات المزهرة السرخسيات، تخلف البروليتاريا البرجوازية التي سبق لها أن نحتت الإقطاعية، فكل نظام اقتصادي وفقا للمادية الجدلية يحتوي على نقيضه وقيام نظام تطوري يهيئ الفرصة لظهور نظام منافس آخر في الأنظمة الاجتماعية.[3]

كما أن نظرية التطور كان لها أثر كبير في العصر الحديث، وذلك على حد قول فرويد والذي ألقاه في احدى محاضراته"لقد تلقت الانسانية من يد العلم فيما سلف، طعنتين خطيرتين أصابت في الصميم أنانيتها الساذجة، كانت الأولى عندما بين للناس أن الأرض هيهات أن تكون

---

[1]- المرجع نفسه، ص 110

[2]-عبد الحميد المرزوقي، تجليات الانسان الحداثي المتأزم وقيم التجاوز عند روني غينون، مجلة المعيار، مجلد 25، العدد61، جامعة الجزائر2، 2021/04/30، ص 116

[3]- ستيفن جوولد، منذ زمن داروين(تأملات في التاريخ الطبيعي)، تر: ستار سعيد زويني، هيئة أبوظبي للتراث والثقافة، الامارات، ط1، 2012، ص 37- 38

مركز الكون، وتقترن هذه الطعنه في أذهاننا باسم كوبرنيكوس، أما الثانية فجاءت على يد عالم الأحياء، يوم انتزع من الانسان ما يدعيه من مكانة ممتازة في نظام الخلق فخرج عليه بأنه ينحدر من سلالة حيوانية، ويبين له ما تنطوي عليه نفسه من طبيعة بهيمية لايمكن أن تستأصل وقد قام بهذا الانقلاب في عصرنا تشارلز داروين و والس ومن سبقهما".[(1)]

ولقد استمد فرويد من نظرية داروين حيوانية الانسان، فالإنسان عنده حيوان جنسي لا يملك الا الانصياع لأوامره الغريزية، ففكرة التطور عند فرويد كان لها طابع فعال داخل علم النفس لديه.

وعلى صعيد الفكر التاريخي ربما أمكن القول، بأن التطور أكمل ثورة تفكير في الطريقة التي يفكر بها المرء في تاريخ العالم خصوصا تاريخ الانسان والدين، وبدأت هذه الثورة بالنقد الرفيع للكتاب المقدس وعلمت الناس كيف يفكرون في الأديان كظواهر تاريخية تطورية حسب الزمان والمكان.

ويرى **ريتشارد دوكنيز(1995- 2010) Richard Dawkins***‏ في تساءل له لماذا نبقى نطرح ونتساءل في فكرة وجود اله طالما أن الانتقاء الطبيعي والتراكم وحدهما يكفيان لتفسير الابداع الذي نراه في الحياة، ففي نظره حطمت الداروينية كل فكرة تقول بوجود خالق صانع، التي كان معظم الناس يعتقدون بها في القرون الماضية فبتلك الاكتشافات البيولوجية الجزئية أزالت نظرية التطور مرة واحدة أي احترام فكري متبقي لفكرة الله.[(2)]

وتغلغلت نظرية التطورفيالفكرالأخلاقي أيضا، حيث أخذت تتصور الأخلاق باعتبارها نسبية وتقدمية، وأن غايتها هي الاسهام في الكفاح لأجل البقاء، وقد حاول هربرت سبنسر وضع علم للأخلاق يستند على المبادئ الداروينية، حيث ذهب في تأسيس بناء أخلاقي على أساس بيولوجي، بإخضاعها إلى قوانين التطور والانتخاب الطبيعة، فلقد شعر سبنسر أن القانون الأخلاقي الذي يفشل أمام امتحان الانتخاب الطبيعي وتنازع البقاء مصيره الفشل، والأخلاق كأي شيء آخر تكون خيرا أم شرا وذلك بقدارملائمتها أوعدم ملائمتها لغياب الحياة، وأعظم الأخلاق وأسماها هي التي تساعد أعظم وأكمل حياة، أو على حد قانون التطور فإن السلوك يكون أخلاقيا بمقدار ما يساعد الفرد أو الجماعة على الكمال والوحدة في وسط تنافر الغيابات.[(3)]

فسبنسر يرى أن الطبيعة قد زودتنا بمقياس دقيق نميز به الطيب من الخبيث وهو مقياس اللذة والألم، فاللذة تشير إلى منفعة الشيء من الناحية البيولوجية والألم يشير إلى خطورة

[(1)] -مرتضى فرج، الداروينية، مرجع سابق، ص24

*كلينتون ريتشارد دوكنيز: عالم سلوك حيوان وأحياء تطورية ومؤلف بريطاني: أشهر مؤلفاته الجين الأناني.

[(2)]-مرتضى فرج، مرجع سابق، ص 26

[(3)]- ول ديوارنت، قصة الفلسفة(من أفلاطون إلى جون ديوي)، تر: فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، ط6، 1988، ص 477- 478

الشيءومع ذلك فإننا نجد اختلافا كبير في فهمالأخلاق لدى الشعوبفما يراه شعب أخلاقي فهو لاأخلاقي بالنسبة إلى آخر.

إن المذهبالداروينية كان المبعث الأساسي والرئيس لأزمة الحداثة، وذلك بإعادة تشكيل منطلق فهم غير المألوف للوجود من خلال الإقرار بأن الانسان مجرد كائن عضوي مادي مثله مثل شتى الكائنات الحية المشكلة للنظام الطبيعي، رافضة بذلك الإقرار بوجود عوالم أخرى للإنسان غير العالم المادي العضوي، بهذا يكون تشارلز داروين قد قدم نقلة خطيرة للإنسان، ويمكن القول أن كتاب داروين أصل الأنواع كان فاصلا بين عصرين ثقافيين عصر ثقافي يتصور العالم سكونيا ثابتا، وعصر ثقافي بعده يمتد إلى يومنا هذا يجعل حقيقة العالم تغير وتطور وحركة.[1]

وبهذا تصير الداروينية لازم من لوازم الحداثة، وواحدة من أزمتها التي تعطي للإنسان الغربي القدرة التسلطية على كل مظاهر الحياة، وذلك في شكل توافق فإن لم يحصل هذا التوافق فالدور قائم على الصراع الذي تفرض من خلال أهم مبادئه وهي القوة.

إن المذهب الدارويني كان ذو طابع وأثر على الفكر الحداثي، وخاصة في الفلسفة الغربية، الذي اجتاح عوالمها وذلك من جوانبها الاجتماعية والدينية خاصة، فمن نظرية تدرس الحياء الطبيعية إلى دراسة الانسان داخل مجتمعه، وصار من المألوف أن نجد دراسات منظمة عن الأخلاق والأديان وفق النظرية التطورية ما كنا لنراها لولا داروين، وأصبح هذا المذهب يتجلى في جميع مظاهر الحياة الانسانية، ولقد كان لنظرية التطور أثر كبير في الفلسفة الحديثة الغربية، حيث نقلت هذه النظرية من طابعها العلمي إلى طابع الفلسفي واتخذ فلاسفة العصر الحديث منها تبريرات تأكد أفكارهم المطروحة حول السياسة أو دين، أخلاق، حيث أخذت من هذه النظرية فكرة الصراع والانتقاء وإبرازهما على مستوى هذه المجالات، وانبسطت للبشر آمال في المستقبل وتغير معنى الارتقاء البشري، لأننا نقلنا هذا المعنى من وسط الطبيعة إلى وسط المجتمع الانساني.

---

[1]- عبد الحميد المرزوقي، تجليات الانسان الحداثي المتأزم وقيم التجاوز عند روني غينون، مقال سابق، ص 116- 117

مما سبق نستخلص، أن نظرية التطور عند داروين حاولت أن تبحث عن تلك الحلقة المفقودة التي أتت منها جميع المخلوقات ومن بينها الإنسان، ولقد تمثلت أهم نتائج هذه النظرية في عنصرين الصراع من أجل البقاء و البقاء للأصلح.

لقد رأى داروين أن الطبيعة في صراع دائم من أجل البقاء، وذلك ناتج عن قلت الغذاء ومكان العيش بإضافة إلى الظروف الطبيعية، كما أن هذا الصراع نجم عنه عدة آثار من بينها التغير الذي يطرأ على الكائن الحي.

أما فكرة بقاء الأصلح أو الانتقاء الطبيعي، عنده تتمثل في أن الطبيعة تختار وتنتقي الفرد الأصلح والأقدر في الاستمرار، حيث أن هذه الأفراد تحمل في داخلها صفات تجعلها تتحمل قسوة الطبيعة وتغيرات التي تحدث فيها، وتورثها هي بدورها للأجيال التالية.

ولقد لعب الفكر الدارويني دورا هما في الفكر الغربي، وكان له مجال واسع في فكر الفلاسفة، ولقد قلبت نظرية التطور مع مؤسسها داروين العديد من الآراء حول أصل الإنسان وخاصة منها الدينية.

الفصل الثالث

الداروينية في فلسفة نيتشه

إن نظرية التطور كانت بمثابة ذلك الانفجار الذي غير مجرى الحياة في الفكر الأوربي، فلقد كانت نظرية التطور محل شغل الكثير من المفكرين والعلماء، بالإضافة إلى مواجهتها العديد من الانتقادات، وكذلك أثرت في العديد من الفلاسفة الغربيين حيث أن فلسفاتهم تحمل في طياتها الفكر الدارويني وما أنتجه من خلال نظريته، فلقد تنوعت قراءات نظرية التطور بينهم، ومن بين من قرأ داروين الفيلسوف الألماني "**فريدريك نيتشهFriedrich Nietzsche** "*.

المبحث الأول: فكرة الأصل في فلسفة نيتشه(المنهج الجينيالوجي)

لقد امتاز فكر **فريدريك نيتشه**ومنهجه بالنقد للفلسفة الكلاسيكية والتمرد عليها، فأخذت تصدع في جميع الماهيات والقيم، فلقد مثل منعطفا نوعيا في تاريخ الفلسفة بصفة عامة والحديثة بصفة خاصة، حيث اتبع منهجا ملائما للبحث في التعاليم السابقة، وتتبع مسار القيم وتعرجها، وذلك بتخصيص المنهج الجينيالوجي للبحث عن المعنى لا عن الحقيقة، وذلك بإقامة فهم للقيم السابقة للوصول إلى قيم جديدة.

إن المعنى الحرفي لكلمة جينيالوجيا، دراسة النشأة والتكوين لإثبات الوقوف عند الأصل، فكلمة جينيالوجيا مأخوذة من المصطلح اللاتيني**Géealog** والمشتق من المصطلح

*فيلسوف وشاعر الماني، وكان عالم لغويات متميز، كتب نصوصا وكتبا نقدية حول مبادئ أخلاقية والفلسفة المعاصرة المادية، المثالية الألمانية (مولد التراجيديا، أصل الأخلاق).

الإغريقي **Génealogos**فكلمة **genéa**تعني الأصل أو المنبت، و**logos**تعني الدراسة أو العلم، وبذلك يعني هذا المصطلحذكر الأصول وجذورها.[1]

ولقد كان التداول الفعلي لهذا المصطلح في الألسن الأوروبية المتعددة، فالجينيالوجيا تدل في الثقافة الأوروبية على سلسلة الأسلاف الذين تربطهم قرابة نسبية، قد تنحدر من الأصل المشترك الواحد، كما تدل أيضا على العلم المتخصص في البحث عن الأصول ونسب العائلات، وتطور المفهوم خلال القرن17 ليدل في الثقافة الغربية على فروع من فروع علم التاريخ له مناهج خالصة به، مهمته إقامة شجرة الانتماء والنسب، ثم اتسع المصطلح تدريجيا في بداية القرن19 فلم يعد مجال دلالتها محصورا في ميدان التاريخ لأصل الأفراد والأسرة فحسب، بل امتد ليشمل تاريخ تطور الحيوان والنبات، وهذا ما ظهر مع العالم البيولوجي تشارلز داروين من خلال كتابيه الرئيسين (أصل الأنواع الحية وتطورها**1859**، وأصل سلالة الإنسان **1871**)، ففي أفكار هذين المؤلفين اكتسى مفهوم الجينيالوجيا مضامين دلالية ومنهجية جديدة، تتقاطع مع آليات الجينيالوجيا بالمعنى الذي سبق ذكره، فقد استعمل مصطلحين جديدين هما: مصطلح **Evolutitionnisme**تطورية أو تحولية للتدليل على النظرية التي تسعى الى تفسير التطور التاريخي لأشكال الحياة وللأنواع الحية اعتمادا على عوامل الوراثة والتحول والانتقاء، فضلا عن استخدام مصطلح آخر هو **Phylogenèse**الدال على دراسة تاريخ نشوء وتطور نوع معين من الكائنات الحية.[2]

لقد تأثر نيتشه بدراسة داروين حول الأصل، وفتح لهذه الفكرة مجال واسع حيث طبقها في المجال الفلسفي، وكانت البداية في كتاب(جينيالوجيا الأخلاق)، ولقد كان له الفضل في تداول المفهوم في الحقل الفلسفي المعاصر وظهور بداية جديدة في الخطاب الفلسفي المعاصر نظرا لتغير دلالة المفهوم مع نيتشه.

كما أن للجينيالوجيا ثلاث دلالات تطور تاريخيا: وهي أولا دراسة سلسلة الأنساب والأسلاف والسلالات العرقية وهي فرع من فروع المعرفة السائدة لعلم التاريخ عند المؤرخين، وثانيا فهي تدلعلى تتبع أطوار نشوء الأنواع الحية ومراحل تطورها، وهذا من اختصاص علم البيولوجيا، أما ثالثا فإنها نوع من التفكير الفلسفي النقدي يثير تساؤلات عن أصل نشأة القيم الأخلاقية.

والجينيالوجيا أيضا كما يعرفها **جيل دولوز***Gilles Deleuze**(1925-1995)** في كتابه(نيتشه والفلسفة): "هي قيمة الأصل وأصل القيم في الوقت ذاته، وهي تعارض مع

---

(1)- مراد وهبة،المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة- مصر، د ط، 2007، ص 247

(2)- حسيبة مصطفى، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص 157- 158

*فيلسوف فرنسي، كتب في الفلسفة والأدب والأفلام والفنون، كان أكثر أعماله شعبية مجلدين عن الرأس مالية والانفصام، من أبرز أعماله منطق المعنى.

الطابع المطلق للقيم كما مع طابعها النسبي أو النفعي، والجينيالوجيا تعني التفاضلي للقيم الذي تتبع منه قيمتها بالذات".[1]

إن مهمة المنهج الجينيالوجي كمنهج تأويلي، هي تعرية التأويلات المختلفة من الأقنعة وتمزيق الحجب التي تخفي ورائها زيفها وانحرافها،[2] أي أن الجينيالوجياتخبرنا أن ما من حدث أو كلمة أو فكرة الا ولها معان مختلفة ولهذا نجد في الجينيالوجيا نوعا من الفيلولوجيا(فقه اللغة)، لا يهتم بما نقول من الكلمات، وانما يهتم بمن يملك سلطة الكلام، وبالقوى المتصارعة في اللغة ومن خلالها، أي القوى التي تملك سلطة التأويل، وهذا يعني أن اللغة قد خضعت للتحريف من مختلف الارادات، وأن العلاقة التي تقوم في عملية التأويل وهي علاقة عنف لا علاقة توضيح وكشف.

وتكمن غاية الجينيالوجيا في الاستخفاف بالحفاوة التي يحظى بها الأصل، فقد قال نيتشه: "فهم الأصل يحد من شأن الأصل، حينها يدرك أن القيمة المعطاة للأصل مجرد قناع يحتاج إلى التأويل، ومعنى ذلك البحث في الأصل هو العودة إلى الوراء لإلقاء النظرة التاريخية على ماهية الشيء للحصول عليه وهو في نقائه الأول".

فالغاية من الوقوف عند البدايات والأصول ليس لكونها حقيقة الحقائق وإنما كنوع من الخطأوبهذا تصبح الجينيالوجيا العودة إلى بداية التاريخ أو الأصل والميلاد لكشف أسباب نشأته.[3]

لقد سعى نيتشه إلى تقويض التاريخ نقديا ضد فكرة تراكمية وتطور التاريخ التي قال بها ماركس، وكان هذا التقويض يتجاوز السرد الميتافيزيقي للحقيقة إلى قلب كل الحقائق المطلقةالتي تتأسس على هويات ثابتة قد غرستها الميتافيزيقا في العقل الذي أصبح يؤمن بفكرة الأصل المقدس(أي كل مفهوم أصل ثابت مقدس)هو في الحقيقة وهم، لهذا كان من الضروري الثورة ضد الأصل، فالجينيالوجيا هنا هي عودة للأصل ضد الأصل، فهي عودة نقدية للأصل لا لتأصيله أو تجذيره بل لنقده وهدم البعد الميتافيزيقي فيه ونقله من مرتبة الثبات والتقديس إلى المساءلة النقدية.[4]

ولعل التفكير الفلسفي الذي يفتحه السؤال الجينيالوجي يريد أن يكون استذكارا لتاريخ الفلسفة وليس استرجاعا لها، انه يسعى الى اقامة تاريخ جديد للفلسفة على هامش التاريخ الذي ينشئه عن نفسه، ولهذا تسعى الجينيالوجيا عبر الصعود إلى البداية للفلسفة وإلى نسيان الذي يوجد في نشأتها، حيث يقول نيتشه: "فخلق ما يبدو لنا كمنطق طبيعي للعقل الإنساني الذي تتأسس عليه الخطابات الفلسفية توجد دائما تقويمات، وهي مستمدة من

---

[1]- جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993، ص7

[2]- بير مونتيلو: نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرح، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 179-180

[3]- نيتشه فريديريك: أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، دط، د.س، ص 22

[4]- محمد عرفات الحجازي: المنهج الجينيالوجي عند نيتشه، مجلة هوامش، مصر، 2018/09/11، ص 2- 3

متطلبات فيزيولوجية ضرورية من أجل الحفاظ على نوع محدد من الحياة"،[1] وبذلك فنيتشه يدعو إلى تكوين منطق بحث في تاريخ القيم وإعادة البناء من جديد.

إن نيتشه بمنهجه النقدي يحاول أن يخلص المعاني التي تحمل حمولة زائفة (كالدينالميتافيزيقا، المعرفة، الأخلاق...)

ففي مجال الدين خرج نيتشه بأكثر آرائه جرأة، فالدين في نظره وليد دوافع نفسية خالصة هي الخوف والحاجة، وأن مقولات الدين محايثة للتاريخ، وتشتق مفاهيمها منه. إن نيتشه يبصر في الأديان بوصفها الأصول الأولى للانحطاط وبداياته، و ما الاعتقاد في الألوهية المفارقة سوى غريزة واهنة دب الموت في أجزائها جميعا وتزحف لتبخس ذاتها في سبيل الإعلاء من ذات تتخيل تعاليها وتحكمها بمصائر العالم والموجودات كلها، فضلا عن أن أي دين أداة فيد قوى تتملكه ولا يملك قيمة في ذاته، من هنا وجب أن تكون الديانات أدوات للاصطفاء والتربية في أيدي الفلاسفة والا فهي أكبر خطر على الحياة.[2]

وفي مجال الفلسفة كشف البحث الذي قام به نيتشه في تاريخ الفلسفة أن هذه الأخيرة وريثة الدين، بل هي مصاحبة له ومؤيدة لنتائجه، فتحت سيطرة الأفكار الدينية تعود الفلاسفة على تمثيل عالم آخر ميتافيزيقي، الذي هو صورة من عالم الأخرة الديني. وكشف أن تاريخ الميتافيزيقا نفسه هو تاريخ أخطاء أساسية اعتبرت حقائق أساسية، مثل فكرة الجوهر والذات، العالم الحقيقي، خلود النفس والغائية...، هي أخطاء ناتجة في رأيه عن كراهية الفلاسفة للصيرورة التي تمتنع عن إدراكهم فيرون فشلهم في إدراكها بتقسيم الوجود إلى مظهر وحقيقة أو إلى عالم مظاهر وعالم حقائق.

وفي دوائر المعرفة والممارسة الأخلاقية كشفت النتائج أن منابع القيم والأخلاق ليست الأصول الدينية فضلا عن أنها ليست ركائز العقل المائزة بين الخير والشر في الأفعال، أو بين الصواب والخطأ في الفكر، إنما الطبيعة الإنسانية وما يعتمل داخلها من غرائز ترأسهم في ذلك غريزة إرادة القوة والنهم نحو المغالبة، يقول نيتشه "ليست الحاجة أو الشهوة شيطان البشر، إنها إرادة القوة؛ أعطهم كل شيء: الصحة، الغذاء والملهى، فإنهم سيكونون تعساء ويظلون كذلك مستغرقين في الأوهام، لأن الشيطان ينتظر، وهو ينتظر مطالبا بإرواء غليله"، إن دلالة هذا القول هي أن الأوامر الأخلاقية إنما تضرب بجذورها في الحالة الفيزيولوجية للكائن وشروط وجوده هي المحدد الجوهري لأنماط وجوده ولتدبيراته السلوكية.[3]

---

[1] - محمد الأندلسي، نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال، د ب، ط1، 2006، ص 27

[2]- عبد الرزاق بلعقروز، المسألة الارتيابية لقيمة المعرف عند نيتشه وامتداداتها في الفكر الفلسفي المعاصر، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011- 2012، ص 102

[3] - عبد الرزاق بلعقروز، الأطروحة نفسها، ص 103

هكذا إذن تتجلى لنا المهمة النقدية للجينيالوجيا في وصف وملاحقة و تقويم الأصول التي تتأس عليها أنماط الثقافة الحديثة وعناصرها المختلفة، فالجينيالوجيا تتبع أصول المعاني وتفكيكها وتخلص من زيفها، فذلك ليس من أجل البحث عن الأصل بل لتحطيمه وتخلص من قدسيته.

المبحث الثاني: البقاء للأصلح في فلسفة نيتشه(البقاء للأقوى)

أولا: فلسفة القوة

بعد قلبه لقيم الضعف ولانحطاط وحتى لا يقع في بئر العدمية، قام نيتشه بوضع مبدأ بديل قابل لاستيعاب شروط الوجود، باتحاد القوة بوصفها قانونا فيزيائي، وعلى الارادة بوصفها قانون سيكولوجي، ليضع منها مركبا خاصا هو "إرادة القوة ".

تعد إرادة القوة محورا أساسيا من محاور فلسفة نيتشه، فلقد حاول من خلال هذا المبدأ أن يصوغ بها القديم في قالب جديد، أي أن مبدأ إرادة القوة هي المقياس الذي حاول بواسطته قلب القيم والفلسفة، ومن هنا أصبحت فلسفته مبنية على إرادة القوة.(1)

ومامبدأإرادة القوة إلا امتزاج بين نظريتين، الأولى نظرية**آرثر شوبنهاور(1788-1860)ArthurSchopenhauer***عن الإرادة، الذي انتقد فيه الفلاسفة السابقين القائلين بفكرة "أن الانسان عاقل، وإن المعارف معطيات عقلية، وأن وراء العقل تقبع الارادة الشعورية واللاشعورية وهي قوة حية ملحة جاهدة، وهي نشاط ذاتي والإرادة رغبة مستمرة، قد يبدو العقل موجها للإرادة ولكنه في هذه الحالة لا يكون الدليل الذي يقود سيده"(2). وهذه الإرادة تسير بها غاية وهدف، على رغم من تأثر نيتشه بشوبنهاور إلا أن ما يدعو له شوبنهاور هو إرادة الحياة بينما يدعو نيتشه إلى إرادة القوة.(3)

أما النظرية الثانية التي استقى منها نيتشه فكرته هي نظرية التطور لتشارلز داروين، وذلك من خلال فكرة الصراع من أجل البقاء للأصلح، والذي حمل منها معنى القوة.(4)

كما تعرف إرادة القوة انها العنصر التفاضليوالعنصر النسابي، الذي يحدد علاقة القوة بالقوة والذي ينتج نوعية القوة، لذا يجب أن تتجلى إرادة القوة بماهي كذلك، وإن دراسة

(1)- إسماعيلفضل الله محمد، فلسفة القوة (أصولها وتطورها في الفكر السياسي الغربي وآثارها في عالم السياسة)، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ط1، 2002، ص 64

*فيلسوف ألماني اشتهر بمقلاته اللاذعة، يلقب بالفيلسوف التشاؤمي، أهم مؤلفاته "العالم إرادة وتمثل"، وتعد فكرة الإرادة من أبرز أفكاره.

(2) - وفيق عزيزي: شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفرابي، لبنان، ط 1، 2008، ص 111

(3)- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، دار المعرفة الجامعية، مصر، دط، 1999، ص 273

(4)- إسماعيل فضل الله محمد، فلسفة القوة(أصولها وتطورها في الفكر السياسي الغربي وآثارها في عالم السياسة)، مرجع سابق، ص 65

تجليات إرادة القوة يجب أنتتم بأكبر قدر ممكن من العناية، لأن ديناميكية القوة بأكملها تتوقف عليها.[1]

إن الحياة بالنسبة لنيتشه لا تعرف إلا بإرادة القوة كمبدأ تتوقف عليه استمرارية الحياة، ذلك أن الحياة نفسها تنزع نزوع إرادة القوة وأينما نظرنا إلى مظهر ما من مظاهر الحياة، وجدناه صورة لإرادة القوة يقول نيتشه في كتابه إرادة القوة: " أتريدون اسما لهذا الكون، هذا العالم هو عالم إرادة القوة لا غير وأنتم شيئا آخر سوى إرادة قوة"،[2]فنيتشه يرى أنكل ما في الحياة إذن هو إرادة للقوة، بل ونحن أنفسنا نماذج لإرادة القوة، فهي الجانب الخفي وراء مانقدمه من تفسيرات للعالم، وهي المؤثر الوحيد على كل التقويمات ومن ثمة فهي المقياس الأنسب للحياة.

ولقد بدأت معالم هذه النظرية في فكر نيتشه نتيجة لتطوعه لخدمة بلاده، لكن بسبب الإصابة اضطر قائد فرقته الى تسريحه والاستغناء عنه،[3] وقد ساهمت مشاهدته لأهوال الحرب والقتال وما يتعرض له الجنود من إصابات، وتجسدت لديه فكرة القوة، خصوصا أنه كان يفتقد للقوة.

حيث يقول نيتشه مخاطبا أخته: "شعرت لأول مرة في حياتي يا أختي الحياة القوية السامية لا تجد تعبيرا في صراع تعس من أجل الوجود، ولكنها تجده في إرادة الحرب، إرادة القوة، إرادة القوة العليا".**[4]**

فنيتشه يرى أن بقدر ما تكون الحياة قوية بقدر ما يكون العالم الموجود أكثر خصوبة، حيث ينتج صراع للأقوياء الذي هو صراع طبيعي، وكذلك يرى نيتشه أن إرادة القوة لها هدف وغايةوهي الوسيلة الوحيدة لتحقيق السعادة في هذا العالم حيث يقول في كتابه ما وراء الخير والشر: " ما السعادة؟، هي الشعور بأن القوى تتنامى، وأن المقاومة تتجاوز، ليس رضى بل قوة أزودوليس السلام ولا بأية طريقة أخرى لكنها الحرب، لا الفضيلة بل الكفاءة".[5]

وكذلك يرى نيتشه أن الطبيعة قد فسرت تفسيرا خاطئا بعيدا عن التعبير الحقيقي لها، ذلك أن القانون الوحيد الذي يحكمها هوقانون إرادة القوة السائد في كل مظهر من مظاهرها، حيث أن الصراع يتجلى في أبسط مظاهر الحياة، ففي التغذية مثلا ترسل المادة الحية

---

[1]- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 81

[2]- هشام بن دوخة، مفهوم الثقافة في فلسفة فريدريك نيتشه، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2009-2010، ص 120- 121

[3]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي)، مرجع سابق، ص 112

[4] - محمد عبد العز نصر، فلسفة السياسة عند الألمان، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1982، ص 114

[5]- فريديريك نيتشه، ما وراء الخير والشر، تر: حسان بورقية، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006، ص 25

مجساتها للبحث عن موضوع مقاوم ليس لأنها جائعة، بل من أجل صرف قوتها وتجاوز شيء ما والاستيلاء عليه ودمجه للتقوي به.(1)

كما يرفض نيتشه في الجزء الثاني من إرادة القوة جل التغييرات الميكانيكية للعالم وللطبيعةفالتفسير الميكانيكي للعالم الذي يتبنى الحركة ويستبعد مفاهيم الحركة والسببية، الضرورةالقانون والعدد، لكن يرد نيتشه أن القانون والضرورة مفهومان وهميان تقتضيان إرادة جعل العالم بسيطا وقابلا للتكميم، الأول يضع ويؤسس لحرية زائفة حيث الأشياء لا تجري بانتظام، والثاني يؤسس لإلزام زائف في العالم.(2)

فنيتشه يعترف بأن الطابع المميز للطبيعة هوإرادة القوة، حيث تحكم مجموع الكوميات العالم، فالعالم في نظره عبارة عن كوانطات قوة، تكمن ماهيتها في ممارسة مقدرتها على كل كوانطات القوى الأخرى.

بالإضافة إلى أن نيتشه أبرز ظهور فعالية إرادة القوة في المعرفة، حيث يذكر نيتشه أن مقياس الرغبة في المعرفة يعتمد على المقياس الذي تتزايد عليه إرادة القوة في نوع من الأنواع، فإرادة القوة هي الإرادة التي تجعل الموجود في متناول التفكير، حيث يوائم المفكرين بين الوجود وفكره بواسطة مفاهيم يتمكن بفضلها من إيقاف جريان الصيرورة، وتعمل المعرفة إذن كأداة للقوة وتنمو مع كل زيادة لها، وتعتمد إرادة المعرفة على إرادة القوة بمعنى أنها تعتمد على دافع القوة الموجودة عند الإنسان الذي يسيطر على مجال معين في الواقع، ويسخر لخدمته، والهدف الأول والأخير للمعرفة هو تحقيق السيادة والسيطرة.(3)

ومن أهم الكلمات المعبرة عند نيتشه لتحديد إرادة القوة، نجد كلمات (استغلال، صراع وطغيان) وإن كان لها سمعة سيئة في اللغة المستعملة تحت تأثير الأخلاق والتعاليم الدينية، الا أنها حسب نيتشه حاضرة في المجتمع وذلك في:

- **في السياسة:** حين يبدأ الضعفاء بمطالبة أولئك الذين يمتلكون القوة بالعدالة، وإذا ما حصلوا على ما يطابون يتجاوزوا ذلك الى المطالبة بالحرية، ثم بالحقوق المتساوية ليجهضوا سيادة الأقوياء، فهم يحولون بين أندادهم وزيادة أقواهم والدافع الى ذلك هو الابتهاج بالقوة.(4)

(1)- عبد النور بورراش: موقف نيتشه من الميتافيزيقا، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص176
(2) - نور الدين الشابي، نيتشه ونقد الحداثة، دار المعرفة للنشر، القيروان، دط، 2005، ص 265
(3) - صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 294
(4) - يسرى إبراهيم، فلسفة الأخلاق(فريديريك نيتشه)، دار التنوير لبنان، ط1، 2005، ص244- 245

- **في الاقتصاد وجمع الثروة:** حيث تتكل القوى في أقطاب مثل نقابات العمال ضد نقابات المستخدمين، وكل قطب يسعى لجمع ما يسعه من وسائل ولإحراز السيطرة والقوة، حتى الطمع في المال يعطينا صورة أخرى ونموذجا آخر عن القوة داخل المجتمعات الحديثة والمعاصرة، فهو لا ينشأ عن حاجة حقيقية ولكنها رغبة مخفية في القوة، وكذلك يرى نيتشه أن الطمع في المال والسعي للحصول عليه صورة لتجليات القوة داخل المجتمع مع تجاهل الدافع، حيث أقر أن الرغبة في الحصول على القوة لا متناهية.[1]
- **بين الأجيال:** حيث يتجاوز الصراع المعاصرين بين بعضهم البعض، ليظهر بين المعاصرين وأسلافهم فيحاولون إخضاع التاريخ لإرادة قوة المعاصرين، ومن ثم تفسيره تفسيرا جديدا يتسع لما سموه من أهداف مستقبلية، وعمليات التاريخ المعاصر كثيرا ماتشهد بمثل هذه الإجراءات الطبيعية في الكائن الإنساني.[2]بالإضافة إلى أن نيتشه يرى أن إرادة القوة تتجلى في مظاهر أخرى كالفن، الدين والسيكولوجيا.

واعتبر نيتشه أن معيار حقيقة الحياة هو نمو القوة وتزايدها، فاهتمامات العقل بالقوة ولو كان خياليا هو قمة الاستلهام والشعور بالنشوة الحياتية، فحسب نيتشه إن إدراك الوجود كعلاقة قوة تشير إلى المظاهر الأكثر بساطة تم اختراقها سابقا بواسطة الاختلاف بين قوتين، وبواسطة الصراع بين القوى المتنازعة على السيطرة والهيمنة، إن القوة ليست ذاتا أوشيئا ولكنها وجود وهو بمثابة علاقة القوة، ولأننا لا نوجد وجودا في ذاته، ولا ذاتا ولاجوهرا فإنه يجب أن نقول إن كل الظواهر هي علاقات قوى عديدة، يسعى بعضها إلى السيطرة على بعض.[3]

وكذلك يعتبر نيتشه أن أساس ومعيار الحقيقة الخلقية يتجسد في إرادة القوة، فلقد طرح بنظريته هذه معيارا جديدا يخالف ويعاكس ما قدمه الفلاسفة، فلقد أعلن بإيمانه المطلق بفلسفة القوة وحدها، وتخلى في المقابل عن الثنائية التي كان من الممكن أن تجمع بين العقل وإرادة القوة كأساس ومعيار للتقييم الخلقي.[4]

وبهذا تعتبر القوة هي معيار للقيم الأخلاقية وهي تجسد عن طريقها قيم الانسان والقوى الفاعلة والقوى الإرتكاسية، وتظهر في شكل تراتيب وقيم الانسان الأعلى وغيرها.

ثانيا: فكرة موت الإله

[1]- يسرى إبراهيم، المرجع نفسه، ص 247
[2]- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 310
[3]- جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 88
[4]- بير مونتيبلو، نيتشه وإرادة القوة، مرجع سابق، ص 104

إن فكرة موت الإله عبارة واردة في كتابات نيتشه، حيث تعبر هذه الفكر عن إرادة العدم، وعن الحط من قيمة الحياة، فحين لا نضع مركز الثقل في الحياة بل في الآخرة، في العدم، نكون قد نزعنا من الحياة مركز ثقلها، لكن الحط من قيمة الحياة وكرهها بمجملها يؤدي إلى تمجيد الحياة الإرتكاسية،[1] فتمجيد العدم والحياة الآخرة في نظر نيتشه إنما هي تمجيد لقيم الانحطاط، حيت تعتبر أن الأخلاق الدينية لا تمجد الحياة الأرضية وتهمل الجسد وتحارب أخلاق السادة.

كما أن فكرة موت الإله حملت تفسيرات عدة فقد قيل أنها ترمز إلى موت الحضارة الغربية وقيل إنها ترمز إلى انهيار المسيحية.

ولقد جاء ذكر مقولة موت الإله في كتابه هكذا تكلم زرادشت*Zoroastre، عند ما نزل زرادشت الشاب ذو ثلاثين من عمره من جبله الذي أوى إليه سابحا في تأملاته، ولقد التقى في الغابة رجلا عجوزا زاهدا يتعبد الإله، حيث يدور حوار طويل بينهما ينتهي بسؤال زرادشت ماذا يفعل قديس مثلك في الغابة؟ ويجيبه العجوز أنني أتعبد الله، وبعد ذلك يفترقا ويقول زرادشت في نفسه ألم يسمع بعد في هذه الغابة أن الإله قد مات.[2]

ونجد نيتشه في كتابه عدو المسيح يصرح بموت الإله على لسان رجل مجنون حيث يقول: "ألم تسمعوا على المجنون الذي أشعل المصباح في ضوء النهار وجرى الى السوق وراح يصرخ دون توقف أنني أبحث عن الإله المسيحي، بينما كان يقف حله كثيرون من أولئك الذين لا يؤمنون بالآلهة، فأثار ضحكهم وسأله أحدهم هل تاه الإله المسيحي؟ وسأله آخر هل ظل طريقه مثل الأطفال؟ أم أنه مختبئ؟ راحوا يصرخون ويضحكون فقفز المجنون في وسطهم ثم صاح فيهم (...) لقد قتلناه، قد مات الإله المسيحي وسيظل ميتا ألا يجب أن نصبح آلهة لنبدو جديرين بهذا العمل"،[3] فبهذا أقر نيتشه بموت الإله والمسيح وبشر بظهور بديلا له، وبشر بإنسان الذي يحكم الكون.

إن نيتشه يرفض فكرة المطلق، فالله بوصفه قيمة أو فكرة غيبية مطلقة (أي الإله بالمعنى الميتافيزيقي) هو فكرة مرفوضة بالنسبة لنيتشه، والإله بوصفه قيمة عليا هو الذي أراد نيتشه له أن يموت، وانطلاقا من ذلك يؤكد نيتشه أن العدمية ضرورية، لأنه آن لنا أن ننزع القيمة من كل شيء، بما في ذلك مفهوم الإله.

---

[1] - جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 196

*رجل دين فارسي حوالي (1500- 650 قبل الميلاد)، يعد مؤسس الزرادشتية، وظلت تعاليمه الدينية هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران.

[2] - فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصيرة، مصر، د.ط، 1937، ص7.

[3] - فريديريك نيتشه، عدو المسيح، تر: جورج مخائيل ديب، دار الحوار، د.ب، ط2، د.س، ص189

لقد عبرت فكرة موت الإله عند نيتشه أيضا عن نهاية كل المثالية تتخذ من صورة عالم آخر خلف الإنسان وهيئة تعال موضوعي.[1]

كما أن أحد أبرز كتبه **"أفول الأصنام"** الذي انتقد في أبرز الأصنام على الإطلاق صنم سقراط وتكون هذه النهاية بواسطة عملية قلب القيم وقد نقد نيتشه فكرة العالم الآخر، العالم اللاأرضي وذلك للأن الإنسان القديم أساء استخدام الأرض وانكارها ولم يحاول إثبات مكانه فيها وذلك بالهروب إلى عالم ميتافيزيقي يجسد الإله والقيم.[2]

إن دعوت نيتشه إلى فكرة موت الإله، هي دعوة من أجل التخلي عن مركزية الإله تلك المركزية التي تمتاز بالمطلقية والثبات، والتخلص من القيم التي وضعتها المسيحية وفرضتها على الإنسان ليكون بذلك ضعيف ومنحط، حيث دعى نيتشه الى خلخلتها وهذا لكي يتسنى للإنسان العادي خلق الإنسان الأعلى، أي الانتقال من الإنسان الأخير إلى الإنسان المتفوق أو السوبرمان ليحل مكان الإله.

ثالثا: أخلاق السادة وأخلاق العبيد

إن النتيجة التي انتهى إليها نيتشه من خلال تتبعه لأصول القيم وهي أن الأخلاق في مجملها تتراتب بن البشر، وذلك أن القيم الأخلاقية تتحدد بينهم في صنفين هما: أخلاق العبيد وأخلاق السادة.

فالمستوى الأول: نمط النبلاء أو السادة الذين هم الأسبق من الناحية الزمنية، مما يعني أسبقيتهم أيضا في وضع القيم، وتحديد سلم التفاضل ومعايير القيم ذلك لأن الطبقة النبيلة كانت دائما في الأصل أو البدء طبقة البرابرة وعلوها لا يأتي من تفوقها الفيزيولوجي فقط، بل في قوتها النفسية، لقد كانوا في تركيبهم الإنساني أكثر كمالا.[3]

لقد طرح نيتشه رؤية لأصل الحضارة والأخلاق وهي رؤية لها قيمة، حيث تكلم عن نشأة وتشكل أخلاق السادة قائلا: "أن الحضارات الكبرى نشأت في البدء بأن قامت طبقة من الأرستقراطيين الممتازين على شكل حيوانات مفترسة شقراء تذرع الأرض في آسيا وأوروبا وجزر المحيط الهادي، مغيرة على كل الأراضي التي تمربها، وهكذا نشأت الحضارة اليونانية والرومانية والجرمانية (...) وقد اخترعت هذه الأمم لنفسها شريعة من القيم الأخلاقية تؤكد بها سيادتها واستمرار سطوها وسيطرتها"،[4] فنيتشه هنا يبين لنا أن الطبقة الأرستقراطية هي التي كانت تؤسس لهذه الأخلاق، فأخلاقهم كانت تنبع من محض

---

[1] ـ صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 352
[2]ـ المرجع نفسه، ص 354
[3]ـ جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، مرجع سابق، ص 80
[4]ـ عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص 510

إرادتهم ولم تكن مفروضة عليهم البتة، على عكس المسيحية التي يجد فيها دعوة إلى الخضوع والطيبة، في حين هو يطلب الارتفاع والكبرياء والقسوة.

يمكن أن يقال أن المسيحية تنشد بمجتمع أفقي يتساوى فيه الجميع، بل يمنع التفوق لبعض أفراده ويعيد الجميع إلى حال السواء من التوسط، لكن نيتشه ينشد مجتمعا عموديا يتيح للعظماء أن يتفوقوا ويسودوا، وبالنسبة إليه الشرف وثني روماني أرستقراطي، أما الضمير فمسيحي يهودي ديمقراطي، وأن أوروبا لهذا السبب ممهدة ببوذية جديدة.(1)

ويرى نيتشه أن الأمم والدول يجب أن يحكمها أناس أقوياء لا الضعفاء، ففي المجال السياسي مثلا: يطالب الضعفاء بالعدالة الى جانب الذين يملكون القوة، وبالحرية أي بالتخلص ممن بيدهم مقاليد الأمور، وبالتساوي في الحقوق، وفي الأخلاق أيضا تنشأ القيم الأخلاقية من تنازع السلطان والغلبة والقوة بين السادة والعبيد، فالعبيد يخترعون قيما أخلاقية لإخضاع السادة لهم عن طريقها وهي ليست سوى أسلحة مسمومة لتحرر من سيطرتهم.(2)

كما أن نيتشه ينتقد الاشتراكية لأنها تحاول المساواة بين الناس قائلا: "إن المطالبة بالمساواة كما بفعل الاشتراكيون والطبقة الخاضعة لم تعد على الإطلاق تشكل تعبيرا عن العدالة بل على الجسم".(3)

والسبب الذي جعل نيتشه يدعوا إلى هذا النوع من الأخلاق النابعة من الإنسان القوي النبيلذلك راجع لبحثه عن الإنسان الأسمى، الإنسان القوي صاحب الفعل المباشر، فأخلاق السوبرمان بها تمثلت القوة(الاعتزاز، السيطرة والمخاطرة ويكرهون الرحمة والشفقة، ويبغض النبلاء الأرستقراطيين، الكذب والنفاق التملق، ويميلون إلى العفو على آخرين كفعل إرادة لا فعل هزيمة)، لهذا نجد نيتشه كأرستقراطي يقول: "ما لا يقتلني يقويني ... تعلمته في مدرسة الحياة الحربية"،(4) وهذا يعني أنه لا يبالي بكل المخاطر التي تواجهه مدامت لم تقتله، ومن هنا يزداد قوة وصلابة عن ذي قبل.

وبالإضافة إلى أن نيتشه يرى أن الجنس الأقوى الغالب هو من يحدد مفهوم الخير، فالنبلاء هم من يحددون الأخلاق، أنهم خلقي الأخلاق، فالأخلاق تمجد الذات وجوهرها، وحيث تكون الأحوال السامية المترفعة للنفس هي التي تعد فضلا، وهي التي تحدد التفاوت في المراتب ويبتعد الرجل الرفيع عن أولئك الذين تتمثل لديهم صفات مضادة لأحوال النفس السامية هذه ويحتقرهم.

(1)- موسسلامة: هؤلاء علموني، مرجع سابق، ص 61- 62
(2)- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 310
(3)- فريدريك نيتشه، إنساني مفرط في إنسانيته، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2002، ص 208
(4)- فريدريك نيتشه، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1996، ص 9

بما أن أخلاق السادة تتمثل في تكوين الإنسان القوي من توطيد نفوذه فإن نيتشه يستجمع جملة من الصفات اللازمة لهذا الصنف البشري والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- أنها الأخلاق الأصلية لكونها مرتبطة بعمق الإثبات الحيوي والمبدع.
- أنها تمجد الفردانية وتطمح إلى الغزو.
- لا تقبل بالقيم الثابتة ولا الواجبات فالإنسان القوي ينكر القيمة ويحدد واجباته ويقرر مصيره بنفسه ويخلق الجديد ويهدم القديم.[1]
- أنها مرتبطة بإرادة القوة المسيطرة والمجسدة لكل ما يعتبر مستحيل، ويقول نيتشه في هذا الصدد: "إن أخلاق السادة تفيض بشعور الاستلاء والقوة وسعادة التوتر السامي والإحساس بإثراء القادر على العطاء والبذل فالرجل النبيل يساعد التعساء أيضا، ليس بدافع الشفقة بل بدافع القوة الفائضة، والرجل النبيل يمجد ذاته باعتباره رجلا قويا وباعتباره أيضا يمارس قوته على ذاته، فيعرف كيف يحترم ويتكلم".[2]

أما المستوى الثاني: نمط العبيد فهم في نظر نيتشه مجموعة من الخاضعين والعاجزين أمام السادة الأقوياء، وتمثل المسيحية برأي نيتشه أخلاق العبيد، لما تكرسه من ضعف للإنسان وتهميش لدوره وإرادته ونفيا للحياة وهذا ما أدركته الكنيسة، فقد أفسدت الإنسان وأضعفته، لكنها ادعت أنها أصلحته، كما جردته من أخلاق البطولة الإسبرطية القائمة على مبدأ القوة أبرز روافع الإنسان الأعلى، ومن ثمة كانت المسيحية قلب لكل القيم الآرية، وبالتالي انتصار لقيم المنبوذين وبشرى يبشر بها المتواضعون والفقراء، ثورة المدارس والتعساء والمشوهين والمخفقين العامة ضد السادة.[3]

ولقد كشف نيتشه عن أخلاق العبيد بشكل كامل في كتابه "أصل نشأة الأخلاق" حيث شرح فكرتي الخير والشر بطريقة مختلفة، وتاريخيا كانت أخلاق العبيد هي السائدة، لكننا أحياننا نجد الإرادة التي تجاوز أو تعلو ومن ثم نذهب إلى ما وراء الخير والشر.[4]

وتنشأ ثورة العبيد على السادة من خلال هدمهم للقيم الأرستقراطية والأخلاق النبيلة، وليثأروا لأنفسهم مما احتملوه وعانوه، ويجعلوا شريعة فيهم تنتصر وتسود، وترفض مثولها وقيمها حتى على السادة أنفسهم، ويقول نيتشه: "إن ثورة العبيد في الأخلاق تبدأ حين يصبح الذخل نفسه خالقا، يلد القيم وهذا الذخل الصادر عن هؤلاء المخلوقين الذين حرموا من القدرة على رد الفعل الحقيقي وهو العمل الإيجابي فلا يجدون عوضا إلا في

[1]- عبد الرزاق بلعقروز، نيتشهومهمة الفلسفة(قلب تراتيب القيم والتأويل الجمالي للوجود)، الدار العربية للعلوم والناشرين، الجزائر، ط1، 2010، ص 188

[2]- يسرى إبراهيم، الفلسفة والأخلاق عند نيتشه، مرجع سابق، ص 199

[3]- نهلة محمود علي الزق الجمزاوي، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 10، العدد3، 2017، ص 363

[4]- لورانس جين كتي شين، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص 121

انتقام وهمي، فبينما تنشأ كل أخلاق أرستقراطية عن توكيد ذاتها وقول نعم لنفسها يسود شعور بالانتصار، نجد من جانب آخر أخلاق العبيد تبدأ من قول لا".[1]

ويقول نيتشه عن العبيد: "يحرم عليهم رد الفعل الحقيقي، فإذا كان النموذج الفاعل يشمل القوى الإرتكاسية، ولكن في وضع تتحد فيه بمقدرة أو قدرة أن تكون مفعولا بها، فإن نموذج القوى الإرتكاسية معها يكيف رد الفعل ويكون مفعولا به ليصبح شيئا محسوسا"، إن التنازع في الوجود الذي يولد رد الفعل باعتباره ظاهرة طبيعية، وهو كفيل بأن يحدث الحقد الذي يولد الصراع من أجل إثبات هذا الوجود، ورد الفعل هذا ما عنها نيتشه بقوله عن العبيد.[2]

رابعا: فكرة الإنسان الأعلى(السوبرمان)

لقد قامت الفلسفة النيتشوية على عملية هدم للفلسفة الكلاسيكية، ومن ثم إعادة بناء جديدة وذلك من خلال مبدأ إرادة القوة، فلقد شارك نيتشه في تحويل الفكر الحديث من ميتافيزيقا العقل بعد موت هيجل إلى ميتافيزيقا الجسد والإرادة والدافع، ومن أبرز نتائج هذه الفلسفة، هو ظهور عدة مصطلحات أبرزها مصطلح الرجل المتفوق أو السوبرمان.

إن مصطلح الإنسان المتفوق أو الراقي، عنى به نيتشه ضربا من الطراز البشري اعتدلت قوته وطبيعته واستكملت قوته، أو ليعارض به الإنسان الأخير من حيث هو الإنسان الحديث أو الإنسان الطيب والعادي الذي نادى به المسيحيون والعدميون، إن الإنسان الأعلى هو الطراز المعارض للمثل القديمة أي طراز الناس المتجاوز سالف التقويمات.[3]

فمفهوم الإنسان الأعلى عند نيتشه يتصل بمفهومين أساسيين هما: **العود الأبدي*** وموت الإله، فالإنسان الأعلى هو الذي يمكنه إثبات العود الأبدي، وهو الذي يمر بتجربة العود الأبدي من خلال وجوده الداخلي الخاص الذي يعبر عن إمكانية لتظهر إلا بموت الإله، فالإنسان الأعلى هو هدف الإنسانية، وأكثر المخلوقات ألوهية.[4]

فلقد تكلم نيتشه في كتابه هكذا تكلم زرادشت عن ظهور إنسان متفوق عن الإنسان العادي حيث يقول: " إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق فما الإنسان العادي الا كائن يجب أن نفوقه فما أعددتم للمتفوق عليه؟ إن كل الكائنات أوجد من نفسه شيئا يفوقهن وأنتم تريدون

---

[1] - عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، وكالة المطبوعات، د ب، ط5، 1973، ص 184

[2] - عبد الرزاق بلعقروز، نيتشه ومهمة الفلسفة (قلب تراتيب القيم والتأويل الجمالي للوجود)، مرجع سابق، ص 193

[3] - محمد الشيخ: نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص 655

* تجلت هذه الفكرة أمام نيتشه، حينما كان يتجول في بحيرة سيلس ماريا بسويسرا أين هبطت عليه فكرة العود الأبدي، وخلاصتها أن الحياة تتكرر عدد لا متناهي من المرات.

[4] - صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 388

أن تكونوا جزرا يصعد موج الكبرى في مدها بل إنكم تؤثرون التقهقر الى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الإنسان الأعلى".[1] إن نيتشه هنا قد قلل من إنسانية الإنسان العادي وجله أقل قيمة من الإنسان الأعلى، الذي أعطاه صفة السمو ورقي.

ولقد قدم نيتشه بديلا للإله بعد موته وهو الإنسان الأعلى حيث يقول: "إلى الأمام ايها الراقون الآن آن للمستقبل الإنساني أن ينبثق، ويظهر فالإله قد مات، وحان مولد وظهور الإنسان المتفوق الذي نرجوا مجيئه".[2]

ومن هذا القول نيتشه يحاول أن يقول أن الإله قد مات وولى عصره وقد بزغ فجر عصر جديد يكون الإنسان الأعلى سيدا عليه فإذا كان الإهتمام متمركز ومنصب حول الإله، وكل شيء يتم باسمه، فمع نيتشه يصبح الإنسان الأعلى الحقيقة الوحيدة المعترف بها، فهو مشروع القيم الوحيدة ووحده من يمتلك القدرة لسد الفراغ الذي تركه الإله بعد موته.

وإن ظهور مصطلح الإنسان المتفوق أو السوبرمان عند نيتشه جاء نتيجة لتعمقه في أصول القيم، والبحث في تاريخها، بالإضافة إلى النقد القيمي للوجود، وتحطيم الأصنام، بدأ من الفلسفات المثالية والعقلانية وصولا إلى التركة الأفلاطونية المتمثل في المسيحية، وانتهاء بفلسفة العصر الحديث الذي هو عصر الإنسان العدمي.[3]

بالإضافة إلى أن هذا المفهوم جاء نتيجة تأثر نيتشه بداروين ونظريته في التطور، فالإنسان حسب نظرية التطور جاء حيثما جاءت الحيوانات وجميع الكائنات الحية، فهو الصورة الأكثر تطورا من جميع الكائنات الحية، وبالرغم من ذلك يرى نيتشه أن الفارق بين الإنسان والشمبانزي مثلا فارق ضئيل للغاية، أي أن الإنسان لم يتقدم عن المستوى البدائي كثيرا لذا فالإنسان يجب أن يتطور أكثر فأكثر،[4] ويقول نيتشه على لسان زرادشت: "كنتم دودة ذات يومن ولكنكم مازلتم تحملون الدودة بداخلكم، فمثلما القرد هو صورة بدائية للإنسان الحالي يجب أن يكون الإنسان الحالي هو صورة بدائية للإنسان الأعلى".[5]

فنيتشه من خلال قوله يصرح أن الإنسان الأعلى أرقى صورة للإنسان الحالي، أو بمعنى أنه البداية التي نشأ عنها الإنسان السوبرمان، مثلما طرح داروين أن الإنسان أصله قرد أو

---

(1)- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص 6

(2) - Friedrch Nietzsche, Ainsipalait Zarathoustra,Traduction: Henri Albert,Laquage Scienza, Paris, 2012, P423

(3)- محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 667- 668

(4)- وجدي أبانوب، نظرة شاملة على فللسفة نيتشه، مقال إلكتروني: https://elmahatta.com، تاريخ الدخول: 2022/03/05، ساعة11:28

(5)- فريديريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، مصدر سابق، ص 23

صورته الأولى، فنيتشه أخذ الفكرة وطبقها على الإنسان العادي ليكون هو الصورة الأولى للإنسان الخارق.

كما أن الإنسان الأعلى هو نفسه إنسان إرادة القوة، بما هي إرادة خلاقة تقبل على الحياة وتبدع فيها، إنه الإنسان صاحب نعم للحياة والمبارك للحياة أيا كان شكلها، شغوف بالحياة لأنها بالنسبة اليه تمثل النهاية فقط بل هي صيرورة مستمرة لانهائية، إن الإنسان الأعلى هو ذلك الإنسان الأقرب إلى الحياة.(1)

ومن خلال إرادة القوة المبدعة الخلاقة وبواسطته تجسد إرادة القوة نفسها، فكل شيء مرتبط بالقوة، لذلك نيتشه عندما يطرح السؤال ما لخير؟ ما السعادة؟ فإنه يجيب بأن القوة هي التي تحقق ذلك، حيث يجعل منها المعيار الأساسي للقيم، ومن أجل استيعاب كيفية انتقال الإنسان من مرتبة الى مرتبة الإنسان الأعلى المفعم بالقوة، لابد والرجوع إلى لرحلة زرادشت التي تعتبر بمثابة ذلك الوصف الرمزي للإنسان الأعلى وتسمى هذه الرموز بتحولات العقل الثلاث، حيث أن خلال هذه الرحلة يمر بثلاث رموز هي: (الجمل، الأسد، الطفل)، فكل رمز حمل دلالة ما تغير من تحولات الفكر وتزيد العقل رقي، فالرمز الأول الجمل ويثمل القيم البالية والأخلاق القديمة المنحطة التي تولد في الإنسان الخضوع، أما الرمز الثاني والذي يمثل الأسد حيث يجسد هذا الرمز الرفض والقوة معا، ساعيا للتخلص من كل الأثقال المكهلة على عاتق الإنسان الخاضع، أما الرمز الثالث فهو الطفل وهو رمز البراء واللعب خالق للقيم الجديدة ناتج عن عملية الهدم والبناء، فبعد عجز الأسد عن القيام به يتحول إلى طفل يحمل في ذاته حركة بداية وعقيدة مقدسة.(2)

إن مهمة الإنسان أن يكون خالق للقيم يصنع من الأشياء ومن القيم ما يريد، مما يؤدي إلى تحقيق الغاية الإنسانية، وذلك باختياره الحر في وضع القيم، فإنسان الممتاز هو الذي يحدد معتقدات العصر بأكمله ويعطي للحضارة صورتها، ويخلق القيم في حرية، حيث يكون هو من يصنع (الحق، الخير، الشر، الباطل...) ولا يتلقاها من أي مصدر آخر.(3)

(1) ـ هشام بن دوخة، مفهوم الثقافة في فلسفة فريديريك نيتشه، أطروحة سابقة، ص 129

(2)ـ أمال بعارة، الفيلسوف وتجربة الإبداع عند فريدريك نيتشه، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة الموسومة، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2013. 2014، ص 118- 119

(3) ـ عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، مرجع سابق، ص 268

المبحث الثالث: تأثير فلسفة نيتشه في الفكر الفلسفي

يعتبر نيتشه مظهر من مظاهر العبقرية الألمانية، نظرا لنمط الفردي الصاعق الذي انفرد به والنظرة الثاقبة التي تميز معظم أعماله، وصلته الوثيقة بروح العصر الذي عاش فيه، وثورته الفريدة من نوعها، فلقد اهتم المفكرين المعاصرين بفكر نيتشه كونه أحدث انقلابا، من خلال فلسفته النقدية المستقلة، التي مست مختلف المجالات وأحدث ضجة في أركان القيم الأخلاقية.

أولا: أثرها في الفكر الغربي

لقد استقطبت فلسفة نيتشه الجدل بين الفلاسفة الغربيين المعاصرين حول العقلانية واللاعقلانية وقد مارست فلسفته تأثيرها الكبير في كتاباتهم التي تشغل عالم الفلسفة اليوم، من أهم الفلاسفة الفرنسيين من تيار ما بعد الحداثة الذين تأثروا بفكر نيتشه نجد: **ميشال فوكو*(1926 -1948)Michel Foucault، جيل دولوز، وجاك دريدا(2004- 1930) Jacques Derrida**.

وقد خصص ميشال فوكو أكثر من دراسة عن نيتشه، وأكد أن تعرفه على كل من نيتشه ومارتن هايدجر **(1889- 1917)Heidegger Marthin** كان أكبر تجربة فلسفية عاشها في حياته، وأن نيتشه هو الذي غلب على توجيهه الفلسفي، واستلهام نيتشه حاضر بالفعل لدى فوكو وذلك فيما يتعلق بمفهوم القوة، فالسلطة عند ميشال فوكو كالقوة عند نيتشه.[(1)]

كما يظهر التأثير أيضا على الفيلسوف الألماني **لودفيج فتجنشتاين (1913-1911)WittgensteinLudwig**الذي استخدم فكرة المعنى، حيث كان لها إلهاما في كتابات نيتشه، ووصفها فتجنشتاين بأنها ما ستفيده من أنه عبارة منطوقة، مشددة على النتائج العلمية للغة، وهذا المنظور يصنع المعنى في العلاقة المتغيرة بي الفكر والفعل، ويرفض فكرة المعنى كشيء ثابت ولا زمان له أو فقط خاصية للتحليل المنطقي، كما تنبا به نيتشه في كتابه (فجر الفلسفة اليونانية 1863).[(2)]

---

*فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالبنيويين ودرس وحلل تاريخ الجنون في كتابه " تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، وعالج مواضيع مثل الاجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون، وابتكر مصطلح" أركيولوجية المعرفة.

[(1)]- أحمد عبد الحليم عطية، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفرابي، بيروت- لبنان، ط1، 2010، ص 278- 279

[(2)]- لورانس جين كتي شين، أقدم لك نيتشه، مرجع سابق، ص 262

وهذه العلاقات المتغيرة(أشكال الحياة) تفرض اللغة كتعبير حرفي، وتظهرها على أنها مركب من علاقات المجاز وبالتشبيه، والكناية، والميول الشعرية، ومن ثم فالمعنى الحرفي هو لغة مجازية، بسبب تعقيداتها كما يذكرنا لودفيج في كتابه (بحوث فلسفية 1953)، وذلك يشبه تصور نيتشه للغة حيث يقول: "حين تتخيل اللغة فأنت تتخيل شكلا من أشكال الحياة".[1]

كما أن تأثير فلسفة نيتشه ظاهر أيضا في فكر مارتن هايدجر، وذلك أنه كتب عنه كتابين(نيتشه1، ونيتشه2) وهي عبارة عن سلسل من الدروس قدمها خلال الثلاثينيات، فقد دافع هايدجر عن نيتشه وباعتباره مفكرا أصيلا في إطار التقليد الفلسفي، حيث أنصفه من تلك القراءات التي اعتبرته مجرد أديب وشاعر.

لقد أولى هايدجر اهتمام واسع للفلسفة النيتشوية فقد أدرك أن الفكر النيتشوي يحمل بوادر التجديد معتبرا إياه فيلسوف المستقبل، وبالرغم من أن هايدجر لمس البوادر التجديدية في فلسفة إلا أن نيتشه، لم يستطع استثمارها للخروج من المتن الميتافيزيقي.[2]

ففي مقال لهايدجر يقول عن نيتشه أنه ناقد عظيم لتراث الميتافيزيقا الغربي، الذي يمثله أفلاطون، فقلب الميتافيزيقا رأسا على عقب تم على يد نيتشه بحيث لم يبقى لها شيئا،[3] إن تأويل هيدغر لفلسفة نيتشه بصفة عامة ولمفهومها للقيمة على الأخص يجعله لا يخرج عن الخط الفكري الذي احتضنته الميتافيزيقا عبر مختلف مراحل تطورها.

رغم دفاع هايدجر عن نيتشه واهتمامه بفكره، إلا أن هذا لم يمنع هيدغر من نقده، وذلك أنه رأى أن نيتشه في كتاباته لم يخرج عن مصطلحات كالميتافيزيقا، فهو في نظره لم يعد تأسيس الميتافيزيقيا بل كتبها بمصطلحات ميتافيزيقية، كما أنه لم يبني لغة جديدة تمكنه من الخروج عن الميتافيزيقا، وهنا تكمن هيمنة هايدجر على نيتشه، فلقد انتقده في كتابه (نيتشه2) في مسألة العدمية وإرادة القوة وقلب الأفلاطونية.

ولقد تناول جيل دولوز أيضا الفكر النيتشوي وتأثر به خاصة ما تعلق بالمفاهيم، ولقد خص لنيتشه كتابين مهمين (نيتشه، نيتشه والفلسفة)، ونيتشه من بين الفلاسفة الذين أعجب بهم دولوز وهذا يتضح بقوله: "كنت أفضل الكتاب الذين كان يبدوا أنهم ينتمون إلى تاريخ الفلسفة لكنهم كانوا ينفلتون في إحدى جوانبه ومن ثمة يخرجون منه كليا أمثال لوكريس، وسبينوزا، هيوم، ونتشه، وبرغسون".[4]

---

(1) -المرجع نفسه، ص 264

(2)- محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدجر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008، ص 441- 442

(3)- مصطفى غالب، نيتشه، دار الهلال، بيروت، د ط، 1988، ص 90

(4)- عبد السلام بن عبد العالي، حوار مع الفكر الفرنسي، دار توبقال للنشر، د.ب، ط1، 2008

لقد قرأ دولوز نيتشه واهتم بمختلف جوانب فلسفته بدراسة والتحليل وكل هذا موجود في كتابه نيتشه والفلسفة الذي صدر سنة **1962** جامعا في طياته المفاهيم التي بني عليها المشروع النيتشوي.

إن لتأثير الفكر النيتشوي، كان ذا عامل فعال في الفلسفة الغربية، ولقد انطبع حتى في التحليل النفسي، فتنبؤات نيتشه كانت على الدوام صحيحة لماحة للمستقبل، وإن كتبه تتميز بلمسة فنية خالصة، حيث امتد تأثيرها على كل من **(ستيفان جورج S- Gorge،وريلكه Rilke، كريستيان مورجنشترون C- Morgensern، وتوماس مان T- Mann...وغيرهم)**

ثانيا: أثراها في الفكر العربي

إن استمرار أثر فلسفة نيتشه، دخل أوساط الفكر العربي حيث لاقت فلسفته انطباعا في أفكار مفكري العرب المعاصرين ولاقت إعجابا بالفكر النيتشوي، ومن بين المتأثرين العرب نجد: (عبد الرحمان بدوي، سلامة وهبة، فرح أنطوان، عباس محمود العقاد، مالك بن النبي وغيرهم من المفكرين).

لقد كان فرح أنطوان وسلامة وهبة، مالك بن النبي، وعبد الرحمان بدوي في طليعة الذين تواصلوا مع هذا الفيلسوف والمستحضرين لآرائه.[1]

وذلك من أجل قراءة التراث المعرفي الإسلامي قراءة نقدية، فتم استجلاب أفكار نيتشه والاشادة بها والرهان عليها، من أجل النهوض والتحرر، وكان له تأثير عظيم في أفكار المعاصرين العرب، ورأى فرح أنطوان في مقالة له أن نيتشه فيلسوف لا يعرف اسمه في القراءات العربية ولكنهم وجدوا آثار مبادئه وفلسفته في كل شيء حولهم، وقد وجد في مبادئ هذا الفيلسوف كثيرا من الحقائق التي يجب أن يطلع عليها أبناء الشرق ليستدلوا ويسحقوا الانحطاط، ولقد أعجب بالأسلوب الجمالي الذي يستخدمه في التبشير بالقيم الجديدة.[2]

ولقد كان تأثير فلسفة نيتشه واضحة في فكر عبد الرحمان بدوين وذلك من خلال كتاباته(خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه)، وأيضا كتاب (الحوار والنور)، حيث يقول عبد الرحمان بدوي: " ليس من شك في أن الحاجة الروحية على القيم التقدمية قائم في النفوس لأبناء، أي أبناء الوطن العربي فهم لم يعودوا يمحون القيم التقدمية السائدة من الثقة والإيمان ما كانت تمنح من قبل أي العودة إلى مقتبسات قديمة".[3]

---

[1]- أمال بعارة، الفيلسوف وتجربة الإبداع عند فريدريك نيتشه، أطروحة سابقة، ص 179

[2]- موقع إلكتروني: https://Aljaml.com ، تاريخ الدخول: 2022/03/04، ساعة: 14:03

[3]- عبد الرحمان بدوي، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، مرجع سابق، ص 81- 82

وعليه فإن بدوي يتبنى الأفكار النيتشوية، وذلك نظرا لأن مشروع النهضة لديه يقوم على مشروع نيتشه في تبديل القيم بقيم جديدة، فقد تحدث بدوي عن أبناء الجيل أنهم لم يعودوا يتقون القيم القديمة السائدة فكل تصوراتهم النموذجية من القيم الكائنة قد تلاشت تماما، فكل ما كان موضع تقديس قد أصبح موضع شك.

لقد كان الفكر النيتشوي واضح في عصر المعاصرين الغرب وحتى عند العرب وكان هذا الأثر ناتج عن كتاباته وخاصة في مصطلحاته كإرادة القوة، والعدمية، القيم ...، إن أثر نيتشه لم يكن ظاهر في حياته بل كان ذلك بعد وفاته، فلقد كانت فلسفته سبب في ظهور الحرب العالمية الثانية.

المبحث الرابع: الفرق بين أفكار نيتشه وأفكار داروين

برغم من تأثر نيتشه بأفكار داروين، إلا أن لكل منهما فكره الخاص به، فلقد انصب فكر تشارلز داروين في المجال بيولوجي، وطرح العديد من أسئلة حول نشوء الكائنات الحية، وكان ذلك بمثابة البداية الأولى في تأسس نظرية التطور التي تمخض عنها مصطلحان مهمان، كان لهما تأثير كبير في الفكر الغربي (فكرة الصراع من أجل الحياة، البقاء للأصلح).

ومن العروف في الأوساط العلمية ولدى الدارسين لنظرية التطور، أنها نظرية تشرح وتبين تطور الكائنات الحية، من كائنات وحيدة الخلية الى كائنات متعددة الخلايا عبر مئات الملايين من السنين، وذلك وفق عمليات دقيقة غير عشوائية كالانتخاب الطبيعي، فالطبيعة حسب داروين في صراع دائم حول متطلبات الحياة (كالغذاء والمأوى...)، فالاختلاف والتنوع البيئي الذي نجده في الطبيعة نجام عن هذا الصراع، فإذا زاد عدد الأفراد زيادة ضخمة، فإن الفرد يضطر لصراع في سبيل البقاء والأفراد المتصارعة التي تحمل صفات تساعدها على الصراع تكون لديها فرصة للبقاء، والأفراد المتصارعة التي تحمل صفات تساعدها على البقاء هي بدورها اكتسبتها من جيلها الأول.[1]

وفي ظل الصراع من أجل البقاء تسمر الكائنات الأجدر والأقوى في التعايش مع البيئة فالظروف البيئية حسب داروين هي التي خلق لنا أنواع جديدة من الكائنات الحية، كما أن هذه الكائنات طول السنين أتت في سلسلة مترابطة، والانسان بدوره نشأ عن فصيلة القرود، فالتطور المستمر والتغير الذي حدث لعدة حيوانات، تكون منها هذا المخلوق لينشأ من فصيلة القرود ليكون بذلك آخر فصيلة حيوانية ويحل محل رأس الهرم.

إن الفكر دارويني كان له صدى كبير في الأوساط العلمية، وذلك من خلال نظرية التطورفلقد قلبت هذه النظرية اتجاه التفكير الإنساني ليس في مستوياته الفلسفية وحسب،

---

[1] - مرتضى فرج، الداروينية، مرجع سابق، ص 35

بل حتى في تحققاته العلمية و العملية، فلقد استطاع داروين أن يثبت نظرية التطور الأنواع بدل نفيها، وبعد أن كان الإنسان يعتقد بنفسه أنه أرقى المخلوقات، وأن شكله الفيزيولوجي وعقله المبدع هما صفتان لنموذج ثابت خلقه، أصبح مجرد تركيب حيوي متطور عن أنواع أكثر بدائية، وهو تركيب عملت الصدفة والظروف البيئية، وإمكانات التفاعلعلى تكوينه. وبالتالي فهو لا يملك أي جوهر عال على قاعدته الحيوية، وإن صورته الحاضرة، ماهي إلا مرحلة عابرة في تطور لا يتناهى.

ولقد كان للفكر الدارويني أثر في الفيلسوف الأماني نيتشه، وذلك انطبع على فلسفته، فلقد استقى نيتشه من أفكار داروين العديد من المصطلحات ووظفها بشكل واضح في أفكار، إلا أن الفكر النيتشوي يختلف في محتواه عنه، فمثلا فكرة الصراع البقاء التي أشتهر بها داروين، فإن نيتشه من مناحي أخرى تبدو له "أنها منادى بها أكثر مما هي مستدل عليها"[1]؛ وذلك لأن نيتشه يؤمن إيمانا لا حدود له أن الصراع من أجل الحياة، إنما هو صراع من أجل الاستقواء، من أجل هذا فإن ليس من الصواب أن يخلط داروين الطبيعة مع مالتوس، فالحياة ليست دائما قاحطة أو جائعة، وإنما تكون غنية ووافرة في الأحيان الغالبة، وفضلا عن هذا فإن نيتشه يرى بأنه لو سلمنا بصدق ما يقوله داروين، أي أن هذا الصراع من أجل الحياة، فأن نهايته تكون معاكسة لتلك التي كانت تتمناها المدرسة الداروينية... إنه ينتهي على حساب الأقوياء، على حساب أصحاب الامتياز، على حساب الاستثناءات المحظوظة، والأنواع لا تنمو في اتجاه الأفضل: يتفوق الضعفاء على الأقوياء لأنهم الأكثر عددا، الأكثر ذكاء، لقد نسي داروين الفكر، فلقد رأى نيتشه أن الضعفاء الأكثر فكرا يجب أن نحتاج الى الفكر كي نتوصل الى أن يكون لنا فكر، ونفقده عندما لا نكون في حاجة إليه، ومن يوفر القوة يستغني تماما عن الذهن.[2]

وعندما قام نيتشه بمعالجة موضوع التطور البيولوجي هاجم الداروينية، حيث رأى أن داروين بالغ في تقدير تأثير الظروف الخارجي في تطور العملية الحيوية، ويرى نيتشه أن العامل الجوهري في العملية الحيوية هو صفة خاصة "القوة" التي تشكل وتخلق الأشكال فيما بينها، أو القوة التي تشغل البيئة، ويرى أن الافتراض بأن الانتخاب الطبيعي يتم لصالح الأنواع القوية لا مبررله، لأن أفضل الأنواع تكون ضعيفة إذا ما قورنت بأغلبية التي تجتمع في مجموعات تحت تأثير الخوف وتتصف بالقوة.[3]

حقا كان نيتشه مجبرا تحث الدارونية على إنكارأي اختلاف رئيسي بين الإنسان والحيوانومع ذلك أصر على الاحتفاظ بكرامة الانسان والعلو به على الحيوان حيث رأى أن الفنان والقديس، والفيلسوف المجودات البشرية الوحيدة بحق وأنهم الأنواع والأكثر

(1) - فريدريك نيتشه، في جينيالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010، ص 201
(2)- صفاء عبد السلام علي جعفر، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، مرجع سابق، ص 89
(3) - محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر نيتشه، مرجع سابق، ص 669

قيمة عن باقي البشر، ويمكن تأويل قيمتهم وجدارتهم من منظور قوتهم الأعظم لأنهم يحققون طموح البشرية.

فنيتشه لتتبعه للأصل لم ينظر إلى العرق بل اتجه نظره نحو الفن والدين والفلسفة، حيث اعتبرهم ما يرفع الإنسان فوق الحيوانات وبعض البشر فوق البشرية، ذلك لأنه اذا كانت قيمة الموجود البشري حسب نيتشه كل قيمة مشتقة من قيمة الإنسان ذاته وحالة الوجود التي هو عليها، وطبق العرق أو الأصل بيولوجي على نحو خالص، فإن النتائج لابد وأن تكون كارثية.[1]

إن الفرق بين أفكار نيتشه وداروين واضحة، وذلك انطلاقا من وظائف أفكار كل منهافبرغم من تأثر نيتشه بداروين إلا أنه نقده في أفكاره وغير مجرى مصطلحاته وأبرز عنصر إرادة القوة في بقاء الأقوياء، وهذا لبروز النزوع الجوهري للكائن الحي والتقليل من قيمة الملكات المعنوية الفكرية التي تضرب بجذورها في النفع الحيوي، وتريد في الوقت نفسه أن تحل محل الحياة أوأن تكون مبدأ لها، ولعل هذا الاشتغال الإيتصالي الانفصالي الذي يختص به نيتشه في تعاطيه مع نصوص الفلاسفة ومفاهيمهم ومنهم داروين يجعله دائما عملا بنصيحته هو؛ أن لا يكتفي بقبول المفاهيم التي ترد عليه، مقتصرا على صقلها وإعادة بريقها، وإنما يبني ورشة لتصنيعها والتشريع لها وإقناع الناس باللجوء إليها من أجل أن لا يتعامل الفيلسوف مع مفاهيم غيره كما لو أنها جاءت من عالم خارق.

(1)- آية غريب، أصالة فلسفة نيتشه، مجلة كلية التربية، جامعة عين الشمس، العدد 27، ج1، 2021، ص 112

مما سبق نستخلص أن نيتشه تأثر بالفكر الدارويني حيث حملة عدة مصطلحات بنى عليها فلسفته، فلقد تجلت فكرة الأصل في الفكر النيتشوي لتجسد في منهج لنقد أصول القيم.

كما تجلت فكرة البقاء للأصلح التي نادى بها داروين، لتحمل وجها آخر عند نيتشه لتتمثل في فلسفة القوة، لتتجلى هي بدورها في الأنسان الأعلى الذي يحمل صفات البقاء والعلو عن باقي البشر ويحل محل الإله، والصراع دائم بين طبقات المجتمع(السادة والعبيد) وذلك في تراتب وفرض البقاء والسيطرة.

إن أثر داروين ظاهر في فلسفة نيتشه، إلا أن الاختلاف والفروق بين أفكارها تظهر نوع آخر من الفكر وقراءة الفيلسوف للفكر الذي سبقه، وبرغم من تأثره بداروين فلقد نقده في أفكاره خاصة في قدسية الإنسان وعلوه عن مرتبة الحيوان.

الخاتمة

خاتمة:

بناءا على ما سبق من تحليل توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

- أن نظرية التطور فكرة كانت منذ القديم، حيث بحث فلاسفة الطبيعة عن أصل الكون والاختلاف وتشابه في الطبيعة، واستمر البحث في العصور الوسطى خاصة مع مفكري العرب الذين اهتموا بفكرة التطور إلى أن ظهر علم البيولوجيا في العصور الحديثة.
- إن ظهور البيولوجيا كعلم في العصر الحديث، ساهم في تشكل نظرية التطور وظهورها.
- لقد عالج داروين مشكلة التطور ونشوء الحياء، واستخلص أن التغير الذي يحدث في الطبيعة نتاج عن صراع دائم بين الكائنات الحية، وذلك نتيجة صراع من أجل الحياة سببه الظروف البيئة التي تطرأ فجأة، وتزايد العددي للكائنات الحية مما يسبب ندرة في الغذاء ومكان العيش.
- إن المذهب التطوري الدارويني لاقى العديد من القراءات، وحملت أفكاره في عدة مجالات وكذلك واجه العديد من الانتقادات.
- إن أثر الداروينية في الفكر الغربي المعاصر والحديث، بالغ حيث سيطرة هذه النظرية عليه من خلال فكرتي الانتقاء الطبيعي وبقاء الأصلح.
- لقد تأثر نيتشه بالفكر الدارويني وقرأ مصطلحاته وجسدها في فلسفته، كما أنه نقد داروين في أفكاره.
- برغم من التأثر الذي تلقاه نيتشه من خلال قراءته لداروين إلا أن نيتشه أبرز مصطلحاته الخاصة، حيث كان مبدأ إرادة القوة محل بقاء الأصلح، فالأصلح في نظره هو الذي يهلك وغير الملائم هوالذي يبقى، وما يبقى وينتشر يتوقف بقاؤه وانتشاره على انتصاره في معركة الإرادة، ولكنه لا يكافح من أجل البقاء بل من أجل القوة.
- إن فكرتي البقاء للأصلح وصراع من أجل البقاء حولهما نيتشه إلى دعوة للقضاء على الأخلاق المسيحية التي كان يسميها أخلاق الضعفاء أو العبيد، لكي يحل محاها نوع من الأخلاق وهي أخلاق الإنسان الأعلى السوبرمان، الذي يحمل مصدر القوة والمعرفة والسيطرة وهو المخلص للبشرية.
- إن الاختلاف بين المفكرين ظاهر رغم التأثر، فأفكار داروين تجلت في البحث عن أصل نشوء الكائنات الحية وارتقائها، أما نيتشه فقد بحث عن أصل القيم والمعاني الزائفة، وكذلك إبراز مصدرالقوة الذي يحمله الإنسان الخارق وذلك بعد قتله للإله أو قتل الأخلاق المسيحية.

قائمة المصادر والمراجع

- **قائمة المصادر والمراجع:**
- **المصادر:**

1. القرآن الكريم

- **قائمة المصادر باللسان العربي:**

1- داروين تشارلز، أصل الأنواع، تر: مظهر إسماعيل، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، د.ط، 2017.

2- داروين تشارلز، أصل الأنواع، تر: مجدى محمود المليجي، المشروع القومي للترجمة، د.ب، ط1، 2003.

3- نيتشه فريدريك، أصل الأخلاق وفصلها، تر: حسين قبسي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، د.ط، د.س.

4- نيتشه فريدريك، أفول الأصنام، تر: حسان بورقية ومحمد الناجي، إفريقيا الشرق، ط1، 1996.

5- نيتشه فريدريك، إنساني مفرط في إنسانيته، تر: محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، د.س

6- نيتشه فريدريك، ما وراء الخير والشر، تر: حسان بورقية، إفريقيا الشرق، المغرب، د.ط، 2006.

7- نيتشه فريدريك، في جينيالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، دار سيناترا، تونس، ط1، 2010.

8- نيتشه فريدريك، عدو المسيح، تر: جورج مخائيل ديب، دار الحوار، د.ب، ط2، د.س.

9- نيتشه فريدريك،هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، مطبعة جريدة البصيرة، مصر، د.ط، 1937.

- **قائمة المصادر باللسان الأجنبي:**

1- Nietzsche Friedrich, Ainsipalait Zarathoustra, Traduction: Henri Albert, Laquage Scienza, Paris, 2012.

- **قائمة المراجع:**

1- إبراهيم يسرى، فلسفة الأخلاق (فريدريك نيتشه)، دار التنوير، لبنان. ط1، 2005.

2- أمين أحمد ونجيب محمود زكي، قصة الفلسفة اليونانية، دار الكتب المصرية، القاهرة. مصر، ط2، 1935.

3- آل ياسين جعفر، فلاسفة اليونان (من طاليس إلى سقراط)، دار البصائر، بيروت- لبنان، ط20، د.س.

4- الأندلسي محمد، نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال، د.ب، ط1، 2006

5- النشار مصطفى، تاريخ الفلسفة اليونانية (من منظور شرقي)، ج1، دار قباء، القاهرة. مصر، د.ط، 1998.
6- النشار مصطفى، مدخل لقراءة الفكر (عند اليونان)، دار قباء، القاهرة- مصر، 1998.
7- الأهواني أحمد فؤاد، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية، للكتاب، القاهرة- مصر، د.ط، 2009.
8- البقصمي ناهد، الهندسة الوراثية والأخلاق، عالم المعارف، الكويت، د.ط، 1936.
9- الجابري علي حسين، الحوار الفلسفي (بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، د.ط، 2005.
10- الساعاتي حسين، علم الاجتماع الخلدوني (قواعد المنهج)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2006.
11- الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر هايدجر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008.
12- الشيخ محمد، نقد الحداثة في فكر نيتشه، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2008.
13- الشابي نور الدين، نيتشه ونقد الحداثة، دار المعرفة للنشر، القيروان، د.ط، 2005
14- المسيري عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، دار الفكر، دمشق. سوريا، ط2، 2007.
15- بريه إيميل، تاريخ الفلسفة ، ج1، تر: جورج الطرابيشي، دار الطليعة، بيروت. لبنان، ط1، 1982، ط2، 1987.
16- بوملحم علي، المناحي الفلسفية عن الجاحظ، دار الطليعة،بيروت- لبنان، ط2، 1988.
17- بيكان دينيس، البيولوجيا(تاريخ وفلسفة)، تر: لبنى الريدي و مها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2017.
18- بيكان دينيس وجريمو سيدريك، نظرية التطور(تاريخ ومجادلات)، تر: بسنت عادل، دار صفصافة، الجيزة، د.ط، 2018.
19- بدوي عبد الرحمان، خلاصة الفكر الأوروبي نيتشه، وكالة المطبوعات ، د.ب، ط5، 1973.
20- بلعقروز عبد الرزاق، نيتشه ومهمة الفلسفة(قلب تراتيب القيم والتأويل الجمالي للوجود)، الدار العربية للعلوم والناشرين، الجزائر، ط1.
21- جولد ستيفن، منذ زمن داروين (تأملات في التاريخ الطبيعي)، تر: ستار سعيد زويني، هيئة أبوظبي للتراث والثقافة، أبو ظبي- الإمارات، ط1، 2012.

22- جين كيتي شين لورانس، أقدم لك نيتشه، تر: إمام عبد الفتاح إمام، دارالكتب المصرية، القاهرة، د.ط، 2002.
23- حلمي مطر أميرة، الفلسفة اليونانية (تاريخها ومشكلاتها)، دار قباء، القاهر- مصر، د.ط، 1998.
24- ديورانت ول، قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي)، تر: فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ط6، 1988.
25- دولوز جيل، نيتشه والفلسفة، تر: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993.
26- ريوس مايكل، داروين، تر: فتح الله الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2010.
27- رمضان أحمد السيد علي، الفلسفة اليونانية (عرض ونقد)، دار الدراسات العلمية، السعودية، ط2، 2012.
28- سلامة موسى، هؤلاء علموني، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ط1، 2012.
29- سلامة موسى، الإنسان قمة التطور، مؤسسة هنداوي، القاهرة- مصر، ط2، 2012.
30- سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2012.
31- ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، د.ط، 1984.
32- صلاح محمود عثمان، الداروينية والإنسان (نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2001.
33- طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية (تحليل ونقد)، تر. محمد عبد الله عنان، مطبعة الاعتماد، مصر، ط1.
34- عزام محفوظ علي، في الفلسفة الطبيعية(عند الجاحظ)، دار الهداية، د.ب، ط1، 1995.
35- عنان محمد عبد الله، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1933.
36- عبد الحافظ مجدي، فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام، تر: هدى كشرود، المجلس الأعلى للثقافة، القاهر- مصر، ط1، 2005.
37- عياد محمد كامل، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر، الإسكندرية- مصر، ط3، 1980.

38- عثمان صلاح محمود، الداروينية والإنسان (نظرية التطور من العلم إلى العولمة)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 2001

39- عطية أحمد عبد الحليم، نيتشه وجذور ما بعد الحداثة، دار الفرابي، بيروت- لبنان، ط1، 2010.

40- عبد السلام عبد العالي، حوار مع الفكر الفرنسي، دار توبقال، د. ب، ط1، 2008.

41- عبد السلام علي جعفر صفاء، محاولة جديدة لقراءة نيتشه، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط،1999.

42- عزيزي وفيق، شوبنهاور وفلسفة التشاؤم، دار الفرابي، لبنان، ط1، 2008.

43- غالب مصطفى، نيتشه، دار الهلال، بيروت، د.ط، 1988.

44- فروخ عمر، بحوث ومقارنات (في تاريخ العلم وتاريخ الفلسفة في الإسلام)، دار الطليعة، د.ط، بيروت- لبنان، 2003.

45- فرج مرتضى، الداروينية، العتبة العباسية المقدسة، د.ب، ط1، 2017.

46- فضل الله محمد إسماعيل، فلسفة القوة (أصولها وتطورها في الفكر السياسي الغربية وآثارها في عالم السياسة)، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2002.

47- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، السلسلة الفلسفية مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ط1، 1936.

48- كاظم الوالي عبد الجليل، الفلسفة اليونانية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط1، 2009.

49- كولن محمد فتح الله، حقيقة الخلق ونظرية التطور، تر: أورخان محمد علي، دار النيل، تركيا، ط1، 2004.

50- كوامن دايفيد، داروين مترددا (نظرة مقربة لتشارلز داروين وكيف وضع نظريته عن التطور)، تر: أحمد شكل، مؤسسة هنداوي، القاهرة. مصر، ط1، 2012

51- ميلر جوناثان، أقدم لك داروين والتطور، تر: ممدوح عبد المنعم محمد، المشروع القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2005.

52- مرحبا عبد الرحمان، تاريخ الفلسفة اليونانية (من بدايتها حتى نهاية المرحلة الهيلينستية)، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت- لبنان، ط1، 1993.

53- مونتيبلو بير، نيتشه وإرادة القوة، تر: جمال مفرح، دار العربية للعلوم. ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

54- نصر محمد عبد العز، فلسفة السياسة عند الألمان، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1982.

55- وافي علي عبد الواحد، عبد الرحمان بن خلدون (حياته، آثاره وظاهر عبقرتيه)، مكتبة مصر، مصر، ط1، د.ت.

56- يلماز عرفان، التطور نظرية عملية أم إيديولوجيا، دارالنيل، القاهرة- مصر، ط1، 2013.

57- يمتريف يوري، الإنسان والحيوان عبر التاريخ (من الأسطورة والتقديس إلى الواقع المعاش)، تر: محمد سليمان عبود، دار النميرة، دمشق، ط1، 1993.

- **المعاجم والموسوعات:**

1- الحنفي عبد المنعم، الموسوعة الفلسفية، دار ابن زيدون، د.ط، بيروت- لبنان، د.ت

2- بدوي عبد الرحمان، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984.

3- وهبة مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة- مصر، 2007.

4- مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

- **المجلات:**

1- الحجازي محمد عرفات، المنهج الجينيالوجي عند نيتشه، مجلة هوامش، مصر، 2018/09/11.

2- المرزوقي عبد الحميد، تجليات الإنسان الحداثي المتأزم وقيم التجاوز عند روني غينون، مجلة المعيار، مجلد25، العدد61، الجزائر، 2021/04/30.

3- حسين موسى: ذكاء المادة الحية في مسيرة فلسفة الحياة، مجلة لاك للفلسفة واللسانيات، والعلوم الاجتماعية، بغداد، 2019/01/01.

4- غريب آية، أصالة فلسفة نيتشه، مجلة كلية التربية، جامعة عين الشمس، العدد 27، ج1، 2021.

5- فخري عمر جيا، خليل حميد، النقد في العصر العباسي الجاحظ ودوره الحضاري في القرن 3 هجري، مجلة كلية التربية، العدد 9، بغداد، د.ت.

6- محمود علي الزق الجمزاوي نهلة، قراءة في مبادئ فلسفة نيتشه، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 10، العدد3، 2017.

- **المذكرات و أطروحات:**

1- بن دوخة هشام، مفهوم الثقافة في فلسفة فريدريك نيتشه، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2009- 2010.

2- بعارة أمال، الفيلسوف وتجربة الإبداع عند فريدريك نيتشه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2013- 2014.

3- بلعقروز عبد الرزاق، المسألة الارتيابية لقيمة المعرف عند نيتشه وامتداداتها في الفكر الفلسفي المعاصر، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011- 2012.

4- بورراش عبد النور، موقف نيتشه الميتافيزيقا، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة الجزائر، 2008- 2009.

- **المواقع الإليكترونية:**

1- إبراهيم سهيلة، علم الأحياء التطوري (لامارك أم داروين)، مقال إليكتروني:https://egyesmag.com، تاريخ الدخول: 2021/12/04، الساعة: 13:00.

2- أبانوب وجدي،نظرة شاملة على فلسفة نيتشه، مقال إليكتروني متاح على الرابط: https://elmahatta.com،تاريخ الدخول: 2022/03/05، ساعة 11:28

3- سالم صالح، الداروينية كنزعة فلسفية،(من تفاؤل كليفورد وسبنسر إلى تشاؤم نيتشه)،مقالإليكتروني متاح على الرابط:https://WWW.shorouknews.com، تاريخ الدخول: 2021/12/25، الساعة 12:50.

4- كاظم الشبلي ماجد ، نظرية داروين في النشوء والارتقاء، مقال إلكتروني متاح على الرابط: https://www.researchgate.net، تاريخ الدخول: 2022/01/14، الساعة: 12:52

5- موقع إليكتروني: https://algaml.com ، تاريخ الدخول: 2022/03/04، الساعة 14:03.

6- موقع إليكتروني: http://stringlixen.com، تاريخ الدخول: 2021/12/23، الساعة 14:05.

الملخص:
إن نظرية التطور من أهم النظريات التي عرفها العصر الحديث، والتي بحثت في أصل التنوع البيئي وتطور الكائنات الحية، ولقد توصل داروين إلى أن التغير الذي يحدث في الطبيعة ناتج عن صراع دائم بين الكائنات الحية، وذلك حول مكان العيش والغذاء إضافة إلى التغيرات البيئية التي تحدث مثل المناخ، والطبيعة بدورها تنتقي الأصلح على البقاء والاستمرار، لقد قلبت هذه النظرية موازين التفكير في الفكر الغربي، وذلك في العديد من المجالات، وكان لها أثر بالغ في الفكر الأوروبي الحديث، وكان تأثيرها ظاهر فالفكر الفلسفي خاصة عند نيتشه.
ولقد اهتم نيتشه بأفكار داروين، وذلك حول البحث عن الأصل والصراع من أجل البقاء، وقد تجسدت فكرة الأصل التي قال بها داروين في الفكر النيتشوي، وكانت في المنهج الجينيالوجي حيث بحث نيتشه عن أصل القيم وتتبع أصلها، ولقد تجسدت فكرتي الانتقاء والصراع من أجل البقاء في فلسفة نيتشه، حيث جعل منها دعوة للقضاء على الأخلاق المسيحية ليحل محلها نوع آخر من الأخلاق، وهي أخلاق السوبرمان (الإنسان الأعلى)، كما ظهر مصطلح القوة الذي قال به نيتشه من خلال فكرة بقاء الأصلح لداروين، وبرغم من تأثر نيتشه بداروين إلا أن أفكار كلاهما تختلف عن أخر، كما أن نيتشه انتقده خصوصا في قدسية الإنسان الذي هدمته نظرية التطور، إن فلسفة نيتشه تعتبر من أهم الفلسفات التي كان لها تأثر في الفكر المعاصر خاصة فالفكر الغربي وامتدت أيضا إلى الفكر العربي.
الكلمات المفتاحية: التطور، الصراع من أجل البقاء، بقاء الأصلح، المنهج الجينيالوجي، الأخلاق، الإنسان الأعلى، القوة.

Abstract:
The theory of evolution is the most important theories known as modern times, whichsearched in the origin of environmental diversity and the development of living organisms. Darwin has reachedthat the change in the nature is out of a permanentconflictbetween live defenders, about the place of living and food as well as changes thatoccursuch as the climate, the nature in turnis the conservation of the interest and to continue to remain the remaining in the mostthoughtfulway, and her impact on the most effective English fiction, FranccNiche.
Niche was interested in Darwin's cards, about the search for origin and conflict to stay. The idea of the origin in Darwin said in the thought of Nitzhou, in the Generician gross, where Nietzsche searched the original values and tracking it. I have been guided by the idea of selection and conflict in order to stay in the Niche philosophy, where they made an invitation to eliminate Christian phylomes to replace the other morality to the replacement of the Christian ethics, the Superman (EC), the nerge of the Superman (top human), the term of the power of Nichche through the idea of survival of the reform of Darwin, but the niches of them were different from the last, and that Nichcher believes in particular in the humanitarian manager, which the demograph of the art, which is amended by the theory of evolution, the philosophy of Niche is one of the most important philosophy that has an impact in the thought of thought, especially the Feskker and the most of the northern festive secretary and also promised to Arab thought.
Keywords: Evolution, the struggle for survival, the survival of the fittest, the genealogical method, ethics, the higher human being, strength.